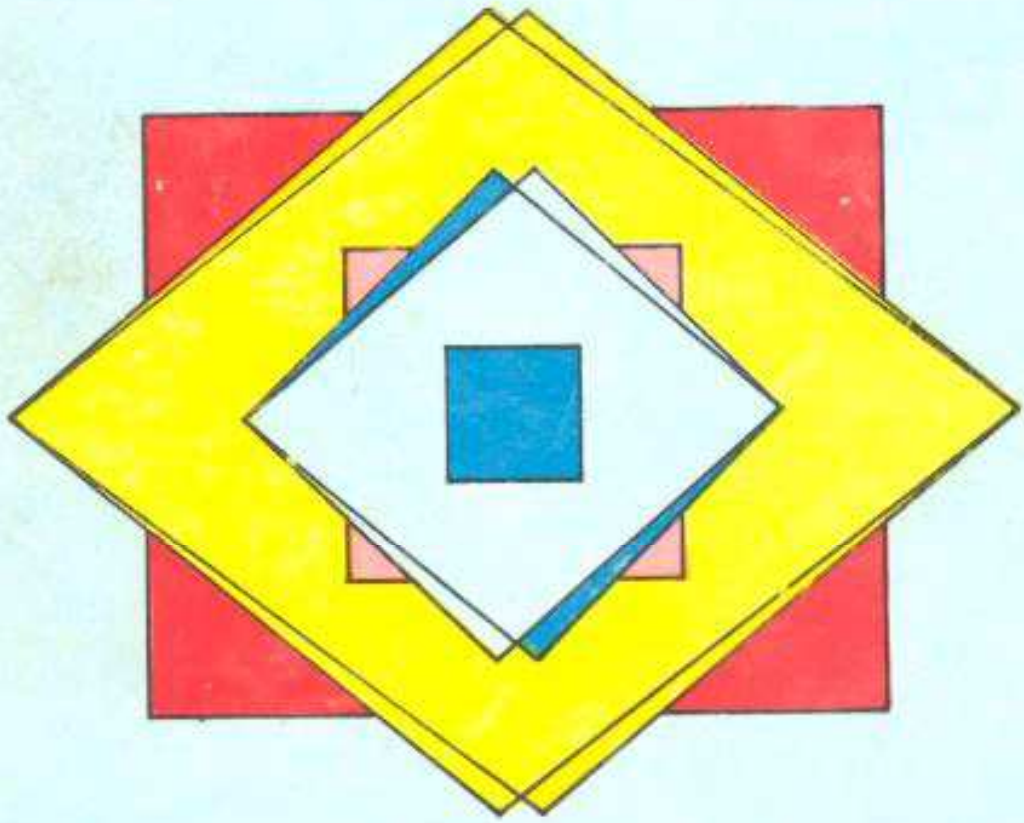


علم النص ونظرية الشرح

تأليف

البروفسور يوسف نور عوض

رئيس قسم الدراسات الإسلامية/جامعة مانشستر البريطانية



الناشر: دارالثقة للنشر والتوزيع

مكة المكرمة

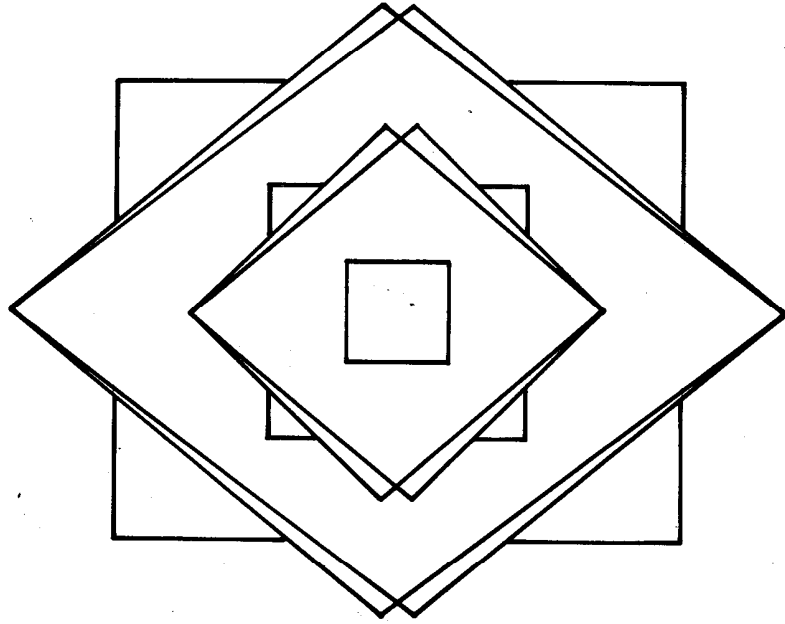
الطبعة الأولى

١٤١٠هـ

علم النص ونظرية الترجمة

تأليف

البروفسور يوسف نور عوض
رئيس قسم الدراسات الإسلامية/جامعة الغرداية الجزائرية



الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة



مقدمة

ظلت المكتبة العربية زمنأ طويلاً وهي خالية أو شبه خالية من كتاب يضع الأسس السليمة لنظرية الترجمة وممارستها . ويرجع ذلك في الأساس إلى سببين،السبب الأول هو إعتبار الترجمة عملاً فردياً لا يخضع لقواعد عامة ، والسبب الثاني هو تخلف الدراسات النظرية في مجال الترجمة عن مستوى الترجمة العملية .

ونظراً لحدوث تطورات مهمة في مستوى العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وظهور عدد كبير من الدول المستقلة مما إستدعى قيام مؤسسات وتنظيمات دولية هدفها تطوير العلاقات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين الدول ، فقد تزايد الطلب على المترجمين ، وكان من الضروري أن تبدأ الجامعات والمؤسسات التعليمية في الاستجابة لهذا الطلب بتنظيم برامج خاصة لإعداد المترجمين ، وقد توافق هذا الاتجاه مع التطورات الأخيرة التي ظهرت في مجال الدراسات الألسنية وأدت إلى ظهور علم النص الذى لعب دوراً كبيراً في تشكيل الصورة التى تكون عليها برامج الترجمة في الجامعات والمؤسسات التعليمية .

وعلى الرغم من أن برامج الترجمة قد اتخذت صوراً متعددة،فقد واجهت في إطار الجامعات مشكلات خاصة كان أهمها هذا السؤال الأساسي وهو : هل الجامعات هي المكان المناسب لتدريب المترجمين ؟ وقد نشأ هذا السؤال من

كون الجامعات التقليدية قد درجت على الاهتمام بالمعرفة من حيث هي معرفة ، ولم تهتم بتدريب المهنيين إلا في المجالات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوير المعرفة ذاتها مثل الطب والهندسة والقانون . ولم تكن الاجابة على هذا السؤال صعبة بعد أن ظهرت الدعوة إلى ربط الجامعات بالمجتمع واتجهت كثير من الدول إلى إنشاء الجامعات التطبيقية التي تضع المعرفة النظرية موضع التطبيق ، ولا تعنى الإجابة المباشرة على ذلك السؤال أن كثيراً من المشكلات التي تواجهها برامج الترجمة قد حلت ، ذلك أن الاختلاف حول طبيعة دراسات الترجمة قد ظل قائماً في إطار الجامعات ، إذ بينما إعتبرها فريق جزءاً من دراسات الألسنية التطبيقية ، إعتبرها فريق آخر فرعاً من الدراسات اللغوية العادية ، وإعتبرها فريق ثالث علماً مستقلاً يستنير بالدراسات الألسنية ، والاجتماعية ، ودراسات الذكاء الاصطناعي والذكاء الطبيعي . ومهما يكن من أمر فإن ظهور علم النص الحديث قد ساعد على حل كثير من الاشكلات السابقة حين ربط ربطاً مباشراً بين النظريات الألسنية الخالصة . والنظريات الاجتماعية والاتصالية .

وهكذا حرر علم النص دراسات الترجمة من تلك النظرة الضيقة التي حاولت أن تشدها إلى مجال واحد هو مجال الألسنية التقليدية ، وإنطلاقاً من هذا المفهوم الجديد للترجمة ، فقد رأيت أن أضع هذا المؤلف كمقدمة لدراسات الترجمة في اللغة العربية أبين فيه العلاقة بين علم النص ونظرية الترجمة . ويعنى ذلك أنني ركزت على جانب واحد من دراسات الترجمة وهو الترجمة النصانية بعد أن استبعدت أنواعاً أخرى من الترجمة وهي الترجمة الليكسو كوغرافية وترجمة المصطلحات التي لا يلعب السياق دوراً مهماً فيها وإنما تعتمد في الأساس على المعرفة أكثر من إعتادها على المهارة الفردية .

وسوف يلاحظ القارئ الكريم أننى قسمت هذا البحث إلى قسمين ،
خصصت القسم الأول للجوانب التى تتعلق بالدراسات النصانية وقد جاء ترتيبه
على النحو التالى :

أولاً : أفردت الفصل الأول لبيان الكيفية التى تطور بها علم النص وذلك
من منظورات « دوبراند » و « هارتمان » و « رايزر » . وحاولت أن
أوضح فى هذا الفصل أنه على الرغم من أن الدراسات القديمة قد تناولت كثيراً
من الأسس التى يقوم عليها علم النص الحديث ، فإن الفرق بين علم النص
والدراسات البلاغية والأدبية القديمة هو نفس الفرق بين اللسانية الحديثة
والدراسات اللغوية القديمة ، أى هو فرق فى منهجية النظر إلى الدراسات
النصانية ، وجعل النص موضوعاً للدراسة ، تماماً كما تميزت اللسانية الحديثة
بمنهجيتها الخاصة وجعلها اللغة موضوعاً لدرسها الأساسي .

ثانياً : عالجت فى الفصل الثانى قضية النص من منظور هاليدى النظمى
وهو المنظور الذى يعالج النص على أنه توافق بين الطبقات الفكرية والاتصالية
والعلامية .

ثالثاً : تعرضت فى الفصل الثالث إلى مفهوم النصانية عند
« دوبراند » حيث أثبت أن الغرض من علم النص ليس هو إيجاد نحو شبيه
بنحو الجملة ، بل هو معرفة الكيفية التى تتحقق بها بعض الأسس اللازمة
لتماسك النصانية ، مثل التناسق ، والترابط الفكرى ، والمعلوماتية ،
والموقفانية ونحوها . وكان هذا المبحث مهماً لإنارة نظرية الإنزياحات التى
أشرت إليها فى الفصل الخامس من هذا البحث .

رابعاً : تناولت فى الفصل الرابع نظرية أنواع النصوص من منظور

الدكتور «باسل حاتم» وهى النظرية التى تشرح الكيفية التى تتشكل بها النصوص على المستوى البنى والنظمى ، وأشرت فى ذات الوقت إلى بعض جوانب القصور التى تتميز بها هذه النظرية من النواحي الأسلوبية وغيرها .

خامساً : عالجت فى الفصل الخامس نظرية الانزياحات التى توضح الكيفية التى ترابط بها المعانى المنطقية ، والبيانية والبديعية فى داخل البيئة النصانية .

وكان يجمل ما ذهبت إليه فى الباب الأول من هذه الدراسة مهماً لإنارة نظرية الترجمة التى تعتمد اعتماداً أساسياً على تحليل الطبقات المختلفة فى البيئة النصانية .

ويلاحظ القارئ الكريم أننى خصصت الباب الثانى من هذه الدراسة لنظرية الترجمة على النحو التالى :

أولاً : عالجت فى الفصل الأول بعض القضايا العامة التى تتعلق بموضوع الترجمة ، ثم تعرضت بعد ذلك إلى بعض النماذج المستخدمة فى هذا المجال والتى تشكل أساساً حسناً للدراسات البيداغوجية فى مجال الترجمة . وقد اعتمدت فى هذا الفصل على ما ذهب إليه « تشاو » فى دراسته كيف نترجم هذه « وردة حمراء » التى تعرض فيها إلى عدد من النماذج هى النماذج النحوية ، والثقافية والنصانية .

ثانياً : تعرضت فى الفصل الثانى إلى مجموعة من الاتجاهات فى مجال نظرية الترجمة ، ومنها إتجاه كاتفورد النحوى وإتجاه « نيومارك » الاتصالي وإتجاه « نايدا » الثقافى واتجاه باسل حاتم القائم على نظرية أنواع النصوص ، وأخيراً إلى إتجاهى فى نظرية الانزياحات القائمة على مستويات

المعاني والبيان والبديع في البيئة النصائية. وعلى الرغم من الاتجاهات المختلفة التي تعرضت لها في هذا الكتاب ، فلا أستطيع أن أزعم أنني استقصيت جميع الاتجاهات، ولكنني واثق من أني قد أثرت معظم القضايا المهمة في علم الترجمة بما يجعل هذا البحث باكرة طيبة لدراسات ستثري المكتبة العربية بإذن الله .

المؤلف

مانشستر ١٩٨٨/٩/٥ م

الباب الأول

الفصل الأول تطور علم النص

دوبوجراند وعلم النص

يذكر دوبوجراند في بداية تاريخه لعلم النص رأياً له « فان دايك » يقول فيه « لا يخضع علم النص لنظرية محددة أو طريقة مميزة ، وإنما يخضع لسائر الأعمال في مجال اللغة التي تتخذ من النص مجالاً لبحثها وإستقصائها » (ص ١٤) . ويعنى ذلك ألا نتوقع في دراستنا لتاريخ علم النص أن نبرز نظرية واحدة أو إتجاهاً محدداً وإنما يجب أن نتجه نحو سائر الأعمال التي أسهمت في إبراز هذا المجال الحيوى في دراسة اللغة .

ويرجع « دوبوجراند » البدايات الأولى للدراسات النصانية إلى العلوم البلاغية التي سادت خلال العصور الكلاسيكية القديمة (اليونانية – الرومانية – العصور الوسطى) . فقد إتهم البلاغين في تلك المرحلة إلى تدريب الخطباء في أربعة مجالات ، هي مجال إنشاء الأفكار Invention ومجال تنظيمها ، Disposition ومجال إيجاد التعبيرات المناسبة لها Elocution ومجال حفظها Memorization وذلك قبل عملية الإلقاء . (ص ١٥) وتعتبر الدراسات البلاغية القديمة في نظر « دوبوجراند » مكملة لدراسات النحو والمنطق .

ويرى « دوبراند » أن تلك المفاهيم القديمة تلتقى في كثير من نواحيها مع الدراسات النصانية الحديثة ، ذلك أنها تحفل بعملية تنظيم الأفكار في داخل النصوص كما تحفل بإيجاد التعبيرات التي تتناسب مع الموقف الإتصالي . ويعنى ذلك أنه كان ينظر إلى النص على أنه وحدة كلامية مخصصة لأغراض الإتصال من خلال عملية التفاعل بين مستويات مختلفة في البيئتين الداخلية والخارجية للنص . ويثير ما ذكره « دوبراند » في نظرنا إشكالية مهمة ، ذلك أنه إذا كانت الدراسة « النصانية » الكلاسيكية قد عاجلت كثيرا من هذه الموضوعات ، فما الذى يميز الدراسات المعاصرة عنها ؟ والإجابة هي أن الاختلاف بين الدراسات الكلاسيكية والدراسات المعاصرة يشبه إلى حد كبير الاختلاف بين اللسانية الحديثة والدراسات اللغوية القديمة ، وهو إختلاف في منهجية البحث ومجال التركيز أكثر من كونه إختلافاً في النتائج ، ذلك أن كثيراً من النتائج التي توصلت إليها الدراسات القديمة تفوق في كثير من نواحيها على ما توصلت إليه الدراسات المعاصرة .

يقول « دوبراند » : « بينما تتجه الألسنية الحديثة إلى الإجابة على سؤال مثل ما هي التركيبات التي يمكن أن يكشف عنها البحث ، فإن علم النص يجيب على سؤال أساسي هو كيف يمكن اكتشاف التركيبات التي خضعت لعمليات إختيار ، وما أثر تلك العمليات في عملية التفاعل الاتصالي . (ص ١٥) .

ويرى « دوبراند » أن المجال الثانى الذى عولجت فيه قضايا تتصل بمفهوم النصانية هو مجال الأسلوبية التقليدية Stylistics فقد أشار « كونتليان » منذ القرن الأول إلى مفهومات مثل الصحة اللغوية Correctness والوضوح والجمال Elegance والملاءمة ونحو ذلك (ص ١٥) . ويرى

« دوبراند » أن الدراسات الأسلوبية الحديثة هي امتداد لتلك الدراسات القديمة ، فقد حاولت الأسلوبية من وجهة نظره أن تستفيد من الأفكار الألسنية الحديثة في تطوير مفهوماتها ، وانتهت جميع مدارسها إلى القول بأن الأسلوب إنما هو عملية إختيار بين بدائل متاحة أمام منشيء النص . وعلى الرغم من ذلك ، فقد إنتقد « دوبراند » الاتجاهات الإحصائية عند الأسلوبين بقوله ، ليس المهم أن تتكرر الظواهر اللغوية في داخل النصوص بصورة اضطرادية حتى نعترف بها قيماً أسلوبية ، بل يجب أن توظف هذه الظواهر في عملية الإتصال ذاتها . ويعتبر هذا واحداً من أهم المجالات التي يهتم بها علم النص الحديث بل ويخالف بها الاتجاهات الأسلوبية السابقة .

ويلاحظ « دوبراند » أنه نظراً لأن الألسنية الحديثة قد إهتمت بمستوى الجملة وما دونها ، فقد أعتبرت المستويات التي تكبر عن مستوى الجملة بمجالاً من مجالات الأسلوبية .

ويرى « دوبراند » أن المجال الثالث الذي تم فيه الاهتمام بالدراسات « النصانية » هو مجال الدراسات الأدبية (ص ١٧) الذي اهتم الدارسون فيه بكيفية بناء النصوص وتأثير الأدباء على العصور ، كما أهتموا باضفاء بعض القيم البراجمسية على النصوص : ويذهب « دوبراند » إلى أن الاهتمام قد بدأ في مرحلة لاحقه بتطبيق المناهج الألسنية على الدراسات الأدبية كما فعل « سبيتزر » و « رومان جاكبسون » و « فان دايك » وغيرهم . وذهب إلى أن دراسات علم النص قد تفوقت على سائر تلك الدراسات لأنها لم تقتصر على وصف التراكيب اللغوية وحدها وإنما تجاوزتها لكيفية بناء النصوص وأغراض إستخدامها (ص ١٨) ويرى « دوبراند » أن استخدام الاتجاهات الألسنية والتاجيمية على نحو خاص (نوع من الدراسة يقسم اللغة إلى فراغات تملأ

بواسطة الوحدات المناسبة) قد فتح مجالاً جديداً للدراسات النصائية الأثرولوجية كما هو الشأن في أعمال « ليفى شتراوس » في الثقافات البدائية وأعمال « فلاديمير بروب » في القصص الشعبية ونحو ذلك (ص ١٨) .

ويعتبر « دويوجراند » المجال الرابع هو مجال الدراسات الإجتماعية الذى بدأ الاهتمام فيه بربط الأدوار اللغوية في المحادثة بواقعها الاجتماعى . وقد فتح هذا الاتجاه المجال لما يعرف في الألسنية الحديثة بعلم تحليل الخطاب Discourse Analysis الذى راده « سانكلير » Sanclair و كولثارد Coulthard . ويذهب « دويوجراند » إلى أن المجالات السالفة قد عاجلت بعض جوانب الدراسات « النصائية » ، ولكن نقطة الضعف الرئيسة فيها أنها كانت دراسات منعزلة عن بعضها بعضاً ، وذلك بسبب غياب مرتكز أساسي مثل « علم النص » تنطلق منه تلك الدراسات أو تتجه إليه . وهذا هو نفس التصور الذى منبت به كثير من الدراسات في مجال الألسنية الحديثة ، ذلك أن هذه الدراسات اعتبرت الدراسة النصائية شيئاً هامشياً ولا ينتمى إلى مجال الدراسات الألسنية .

التطور داخل مجال الدراسات الألسنية :

يذهب « دويوجراند » إلى أن الاهتمام الأول بالدراسات النصائية كان في مجال الدراسات الفيلولوجية التى سبقت الألسنية الحديثة ، حيث تركز الاهتمام على دراسة الأصوات والأشكال اللغوية من المنظور التاريخى بالإضافة إلى دراسة نظام ترتيب الكلمات في الجمل . Word Order ويرى أن « هنرى ويل » Henery Weil (١٨٤٤ — ١٨٨٧) قد لحظ أن علاقات الكلمات في الجمل لا تخضع فقط لقوانين النحو وإنما تتبع قوانين نظم الأفكار ، وهو نفس المنحى الذى ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني فيما قبل (ص ٢٠) وأعادته

مدرسة براغ الوظيفية فما بعد في النظرية التي تعرف بإطار الجملة الوظيفية Functional Sentence Perspective . وهي النظرية التي ترى أن الدور الوظيفي للجمل يتركز . على المعرفة الجديدة التي تحملها هذه الجمل داخل النص .

ولقد تبعت ذلك المدرسة الألسنية الوصفية التي أهتمت بوصف الوحدات اللغوية في إطار الجملة بمختلف مستوياتها وفق نظام التعارضات الثنائية Binary Relations سواء على المستوى السراسي Paradigmatic أم على المستوى الأفقي Syntagmatic وعلى الرغم من أن هذه المدرسة قد إهتمت بمستوى الجملة فقط ، فإن الإضافة الحقيقية التي برزت عندها ، هي نظرها إلى مكونات الجملة وفق نظرية التعارضات الثنائية على أنها مجموعة من النظم Systems تتربط مع بعضها بعضاً عن طريق التمايز Distinctiveness . ويشكل وصف هذه النظم وصفاً للنظام اللغوي بأسره . وعلى الرغم من أن « دوجراندي » لا يرى في إتجاهات هذه المدرسة ما يستحق الإهتمام ، فمن الواضح أن بنائية النصوص تخضع أيضاً لمجموعة من النظم لا بد من تحليلها إلى وحدات صغرى وذلك قبل دراسة الأسس التي تقرّبها من بعضها بعضاً .

ويرى « دوجراندي » أن المرحلة التالية هي مرحلة « زليج هاريس » Zellig Harris (ص ٢١) الذي أدخل مفهوم التحويلات Transformations التي تؤدي إلى معادلات نصانية Equivalances . وقد وجد مفهوم التحويلات طريقه إلى نعوم تشومسكي في مرحلة تالية : وعلى الرغم من ذلك ، فيرى « دوجراندي » أن نظرية التحويلات وفق نظرية التوزيعات Distributional Principle قد وجدت قليلاً من الإهتمام في دراسات تحليل الخطاب Discourse Analysis ويرى أن نظرية التحويلات التي تتمخض عنها التركيبات اللغوية المماثلة لا تخبرنا شيئاً عن علاقات المعاني ببعضها بعضاً . ويعنى ذلك

باختصار أن نظرية هاريس لا توضح الأسس التي تصبح بها الجمل مترابطة من الناحية المعنوية في داخل بيئة النص .

ويذهب « دوبوجراند » إلى أن تطوراً مهماً قد حدث من خلال نظرية « كوسيرو » Coseriu الذي نادى بعدم الوقوف عند مدى معرفة المتحدث باللغة ، بل تجاوز ذلك إلى قدرته على إستخدامها في مواقف حقيقية من مواقف الإتصال . ولكن هذا التطور في نظره لم يلتفت إلى أهميته إلا أخيراً .

ويرى « دوبوجراند » أن مرحلة مهمة قد بدأت مع « رولاند هارويج » Roland Harweg الذي اهتم بالكيفية التي يتناسك بها النص . وقد بنيت فكرته على نظرية الإبدال Substitution والتي تقول بأن كل جملة في النص إنما تأتي لتحل محل الجملة التي سبقتها وذلك في توجيهها نحو الغاية النهائية للنص (ص ٢٢) .

ويلخص « دوبوجراند » سائر تلك الإتجاهات على أنها تطوير للنظرية الوصفية التي تعامل النصوص وأنواعها على أنها جمل كبرى ، وأنها نتاج المُعطى وليس نتاج عملية الإتصال ذاتها التي تلعب دوراً مهماً في عملية تكوين النص وتشكله .

ويرى « دوبوجراند » أن الإختلاف الأساسي بين المدرسة الوصفية والمدرسة التحويلية هو أن المدرسة الأخيرة لم تنظر إلى النص على أنه وحدة أكبر من الجملة المعتادة ، وإنما نظرت إليه على أنه تسلسل من الجمل الصحيحة في حالة تتابع . وعلى الرغم من أن « كاتز » و « فودر » بحسب رأيه (ص ٢٣ - ١٩٦٣ م) قد ذهبوا إلى إعتبار النص في أول أمرهما جملة طويلة مقسمة إلى مسافات زمنية Periods ولا تترايط بواسطة الروابط المعروفة ،

فليس هنالك ما يدل على أنهما اقتربا من مفهوم النصانية الذى دعاه
« دوبراند » وذلك بسبب وجود كثير من النصوص التى تخالف هذا
المفهوم .

ويلاحظ « دوبراند » أن « كارل ايريك » Karl Erick قدم إضافة
مهمة ، حين ألمح إلى أن البتر وترتيب الكلمات في الجمل لا يقوم إعتباطاً وإنما
يعتمد على البيئة الداخلية للنص أى على الجمل التى تسبق أو تلى ، وبالتالي فقد
رأى ضرورة أن يتضمن النحو مفهومي المذكور وغير المذكور في ترتيب
عناصره (ص ٢٤) وهذا هو نفس المنحى الذى ذهبت إليه مدرسة « براغ »
في مفهوم إطار الجملة الوظيفية الذى يعتمد على مفهوم القضية Theme وجوابها
Rheme وقد طور نفس هذه الفكرة « أيسنبرج » Isenberg الذى رأى عدم
إمكان حل القضايا المتعلقة بالضمائر والأدوات وتتابع الأفعال في إطار نحو
الجملة المنعزلة .

ولقد جاءت الخطوة الكبرى في نظر « دوبراند » عندما اجتمع عدد
من العلماء في مقدمتهم « هارتمان » و « رايزر » Reiser و « بتفوى »
و « فان دايك » وغيرهم في جامعة « كونستاتز » في ألمانيا لدراسة ما أصبح
يعرف بالسنية النص أو علم النص Text Linguistics وكان الإتجاه أول الأمر هو
إنشاء نحو لتوليد النصوص من خلال عمل « برخت » « حيوان : السيدك
المفضل » . وقد تبين أن العملية أكثر تعقيداً مما تصور الجميع وذلك لصعوبة
كتابة نحو للنص يشبه نحو الجملة، ذلك أن تكوين الجمل في داخل ما هو نص
لا يختلف عن تكوينها في داخل ما هو غير نص Non - text ، وقد بدا من ذلك
أنه لا بد أن تركز العملية إذن في كيفية إنتاج النصوص وإستقبالها من أجل
توضيح الفرق بين ما هو نص وما هو غير نص (ص ٢٥) . وقد دعا ذلك

« بتفوى » Petefoi إلى التساؤل عما إذا أصبح من الضروري إنشاء نحو للمتكلم والمستقبل ، يبدأ الأول من المعنى ويتدرج إلى الشكل أو التركيب ، بينما يبدأ الثاني من التركيب أو الشكل ويتدرج إلى المعنى ، وهى القضية التى حاول الكثيرون حل اشكاليّتها من خلال نظرية المعانى التوليدية Generative Semantics والنظرية المطورة Extended Semantic Theory التى قال بها نعوم تشومسكى (ص ٢٨) .

« هارتمان » وعلم النص :

يرى « هارتمان » أن الإهتمام المتزايد بالدراسات اللغوية فى العصر الحديث سببه الرغبة فى معرفة الكثير عن عملية الاتصال فى ظل ظروف اجتماعية متغيرة . وهو يشير بذلك إلى ضرورة النظر إلى اللغة فى ضوء عملية التفاعل Interaction التى تتم من خلال الواقع الاجتماعي (ص ٩) أى ضرورة النظر إلى اللغة من زاوية كونها خطاباً اجتماعياً . وهنا يطرح هارتمان السؤال المتكرر أبداً فى هذا المجال ، وهو هل النظر إلى اللغة بوصفها خطاباً يعتبر شيئاً جديداً فى مجال الدراسات اللغوية ؟ ولكى يجيب على هذا السؤال فقد رسم نموذجاً يمثل خارطة للدراسات التاريخية التى لها علاقة باللغة من ناحية كونها خطاباً اجتماعياً ، وانتهى فى تحليل نموذجه إلى النتائج التالية .

أولاً : لقد كانت البلاغة هى أول الأمور التى إهتم بها ، ورأى أهميتها فى أنها نظرت إلى اللغة من حيث هى خطاب واقعى . وقد ذهب « هارتمان » إلى أن الدراسات البلاغية قد وضعت الأسس الأولى لما يعرف « بالألسنية التطبيقية » لأنها حاولت أن تضع المبادئ التى يمكن أن يعتمد عليها الخطيب أو المتحدث فى المجال العام (ص ٩) . ويرى « هارتمان » أن الدراسات

البلاغية القديمة قد أوضحت العناصر المشتركة في الخطاب ، وهي من وجهة نظره :

- أ - المتحدث والجمهور .
- ب - الموضوع والحقيقة أو الواقع .
- ج - شكل الرسالة أو نمطها .

وقد ذهب إلى أن العلاقة بين المتحدث والرسالة تتمثل في عنصر التعبير Expression والعلاقة بين الجمهور والرسالة تتمثل في عنصر الاستقبال Reception بينما تتمثل الرسالة والأشياء في عنصر المحاكاة : Memises أو التمثيل (ص ١١) . وقد اعترف « هارتمان » أن النموذج الذى قدمته البلاغة القديمة من المنظور الذى أشرنا إليه يتسم بعنصر الثبات لأنه لا يأخذ في الاعتبار متغيرات الزمان والسياق وموضوعات الرسالة، كما أن النموذج قد أهمل الجوانب التى تتعلق بتنظيم النص في عملية الإتصال والاختلافات القائمة بين لغات العالم في نظمها البلاغية .

ثانيا : ذهب « هارتمان » إلى أن الدراسات الأسلوبية Stylistics حاولت الإجابة على تساؤلات مثل ما هي العناصر التى تشكل الخطاب الجيد ، وما هي الوسائل التى يمكن أن نستخدمها في التعرف على أسلوب النص ، وأسلوب الكاتب وأسلوب النوع Genre وأسلوب الحقبة . وما الذى يفرق بين الخصائص الأسلوبية والخصائص البلاغية (ص ١٢) وعلى الرغم من تركيز الدراسات الأسلوبية على النواحي الأدبية من وجهة نظره ، فلم تكن هنالك إجابة واحدة لكشف العلاقة بين مبدع النص والواقع الذى يريد التعبير عنه أو عملية الاستقبال التى ينتهى إليها النص . فقد اختلفت المدارس في هذا الاتجاه اختلافاً كبيراً ، إذ

بينما اتجه بعضها إلى النواحي الوصفية كما فعل « تشارلس بالي » ، اتجه آخرون إلى النواحي الوظيفية كما فعل « رونالدبارت » و « رومان جاكسون » واتجهت مجموعة أخرى إلى النواحي الوراثةية كما فعل « سبيتزر » وإلى النواحي الإحصائية كما فعل « جوستاف هاردن (ص ١٢) ومهما يكن من أمر فإن السمة الغالبة على الدراسات الأسلوبية في المجال الأدبي من وجهة نظر « هارتمان » هي سمة الذاتية التي لا غنى عنها في تلمس الخصائص الأسلوبية .

ثالثاً : يتمثل الجانب الثالث في تطور الدراسات النصانية في نظر هارتمان في الدراسات التفسيرية Exegesis التي يستهدف منها الدارسون التوصل إلى المعنى الحقيقي للرسالة . وتقدم شروح التوراة والأنجيل نماذج حية لهذا النوع من الاهتمام في الدراسات النصانية .

ويرى « هارتمان » أن الدراسات السابقة جميعها قد أصبحت الآن خاضعة للنقد لكونها قد انحصرت في دراسة الجمل والكلمات بينما أهملت دراسة الوحدات الكبرى التي هي النصوص .

رابعاً : على الرغم من أن اهتمامات « هارتمان » قد تركزت على دراسة الخطاب السياسي فيمكننا أن ننظر إلى آرائه من منظور الدراسات النصانية العامة . وقد ذهب « هارتمان » في ذلك إلى القول بأن الدراسات البلاغية والتفسيرية التقليدية لم تستطع أن تشرح على نحو كاف عملية الإتصال النصانية من حيث هي عملية واقعية . ويرى « هارتمان » أن التطور الذي حدث في هذا المجال قد تم في عام ١٩٣٠ عندما قام « بوهرلر » و « جاكسون » و « موريس » بإعادة النظر في عملية الاتصال وقاموا بتطوير مجموعة من النماذج Models أسهمت في تكوين علم « السيميولوجيا » الحديث . ويذهب

« هارتمان » إلى أنه على الرغم من إختلاف الاتجاهات في هذا المجال فإن الشيء المشترك بينها يمكن أن يجمع في العناصر السبعة التالية والتي كان قد أشار إلى أربعة منها من قبل (ص ١٤) .

- ١ - المتحدث أو المرسل .
- ٢ - الجمهور أو المستقبل .
- ٣ - الحقيقة أو الأشياء أو الأحداث .
- ٤ - الرسالة أو النص .
- ٥ - الشفرة أو النظام اللغوي .
- ٦ - الوسيلة .
- ٧ - سياق الموقف .

خامسا : يرى « هارتمان » أن المرحلة الخامسة هي المرحلة التي بدأت معالمها خلال الخمسينات والستينات والتي إتجه فيها الباحثون إلى دراسة ما غدا يعرف بنظرية مواقف الكلام Speech act theory ونظرية البلاغة الحديثة (ص ١٦) . وقد تضافر على الإتجاه الأول من وجهة نظر « هارتمان » الفيلسوف الذي كان يرى في اللغة أداة من أدوات المنطق والاثنوغرافي الذي رأى في المادة القولية وسيلة من وسائل معرفة التفاعل الثقافي . كما تضافر على الإتجاه الثاني المعلمون الذين حرصوا على تعليم مادة الإنشاء خاصة في المدارس الأمريكية العليا (ص ١٦) وعلى الرغم من أن الإتجاهين من وجهة نظره قد خرجا من الإطار القديم الذي يركز على دراسة الجمل ، فلم يحدث أى من هذين الإتجاهين ثورة في الدراسات النصائية . ومع ذلك فقد ركزا الإهتمام على ضرورة الاهتمام بإستراتيجيات الاتصال وعدم الأخذ بالنظرية القائلة بأن اللغة هي تتابعات من الجمل .

سادسا : يذهب « هارتمان » إلى أن المرحلة السادسة من هذا المنظور هي التي أفرزت علم النص بمعناه المتعارف عليه حديثا . ويرى أن الهجوم على الدراسات الألسنية من جانب علماء اللغة الإجتماعيين هو الذى أسرع بهذا التطور في مجالين ، مجال تحليل الخطاب Discourse Analysis ومجال السنية النص (ص ١٧) . ويتركز الاختلاف بين الاتجاهين في أنه بينما يبدأ تحليل الخطاب من البيئة الخارجية ثم يتجه نحو الداخل لمعرفة الكيفية التى تمت بها عملية التحقق فى داخل النص ، فإن السنية النص Text Grammar تبدأ من داخل بنية النص ثم تتساءل كيف يمكن أن يحقق النص غرضه الخارجى (ص ١٧) ويرى « هارتمان » أن الطريقتين في واقع الأمر تتكاملان في الدراسات النصانية ، ذلك أن الرسالة يجب أن تشفر في شكل خطاب ، والخطاب يتخذ شكل نص ، والنص هو مجموعة من البنى التى يمكن تحليلها إلى معان واضحة . ويعنى ذلك أن النص هو البيئة التى تلتقى فيها العناصر اللغوية مع العناصر غير اللغوية Extra - Linguistics وأنه لكي تتحقق النصانية فيجب البحث خارج نطاق الجملة والعبارة ، ذلك أن النصانية هي المجال الحقيقي لمعرفة الأحداث التى تتحكم في عملية الإتصال (ص ١٩) ويذهب هارتمان إلى أن نظرية أنواع النصوص Text Typology إنما تستمد وجودها من كيفية تنظيم المعلومات في داخل النص ، وبالطبع فليس بالامكان إيجاد حدود صارمة بين أنواع النصوص بسبب عنصر التداخل الذى هو سمة من سمات الاستخدام اللغوى الذى نشأ عنه ما يسمى بالنص المتداخل Hybrid Text .

يرى « رايزر » أن محاولة « هاريس » في دراسته الألسنية البنيوية Structural Linguistics كان بداية النهاية للبنيوية التقليدية لأنه حاول وصف اللغة من خلال جمل أساسية Kernel Sentences متعرضاً لما يلحقها من تحويلات تؤدي إلى إنشاء سائر الجمل في اللغة (ص ٦) . ويمكن بواسطة هذه الطريقة أن تفسر كثير من الجوانب البنيوية المعنوية بالإضافة إلى تفسير الغموض بحسب رأيه ، ويذهب رايزر إلى أن « أريس » قد أشار إلى أن البنيوية التقليدية لم تتعرض إلى الوحدات اللغوية فوق مستوى الجملة لتبين العلاقة فيما بينها . وذلك ما دعاه لأن يقترح ضرورة العناية بتحليل الخطاب من أجل تحقيق هذه الغاية . ويرى « رايزر » أنه على الرغم من أن فكرة التحويلات Transformtions قد وجدت دفعة قوية من تشومسكى ومدرسته ، فإن الإهتمام بتحليل الخطاب قد أتى في فترة متأخرة نسبياً . وذلك حين حاول « بيرويش Bierwish مناقشة الفكرة التي دعا إليها « هاريس » عام ١٩٦٥ . وقد ذهب « رايزر » إلى أنه في إطار مفهوم تحليل الخطاب Discourse Analysis يمكن معرفة التتابعات الجميلة المقبولة، وتلك التي تعتبر غير مقبولة، كما أن طريقة التحليل اختلفت من باحث لآخر، وذلك ما دعا « بيرويش » إلى المناذاة بعلم للنص يكون نظيراً لمفهوم القدرة Competence عند تشومسكى . ويرى رايزر « أن « بيرويش » بهذه الدعوة كان من أوائل الذين نادوا بما عرف أخيراً بمفهوم التماسق في النص Cohesion (ص ٧) . وقد ذهب « رايزر » إلى أن آراء « هاريس » لم تعرف في أوروبا بسبب طغيان الدراسات

الفيلولوجية ، وتأثير مدرسة براغ « على الدراسات الألسنية فيها (ص ٧) .
إلا أن المبررات التى أعطيت أخيراً لظهور علم النص فى أوربا كانت هى نفس
المبررات التى ساقها « هاريس » من قبل فى أمريكا . ويرى « رايزر » أنه على
الرغم من أن الدراسات النصانية قد تأثرت فى أول أمرها بالشكلائية الروسية
والبنوية الفرنسية مما دعا « انجرادن » و « رينية » و « ويلك » إلى المطالبة
بأن يعتمد التفسير على وصف بنية النص (ص ٧) فقد إتجه الإهتمام إلى
الألسنية كى تقدم وسيلة الوصف المناسبة . وقد جاءت المحاولة الأولى فى هذا
الاتجاه من هارويج Harweg الذى عالج قضية الإبدال فى النص Substitution
على النحو الذى شرحناه فيما قبل . وقد ذهب « رايزر » مع ذلك إلى القول
بأنه على الرغم من إضافات هارويج فى كيفية ترابط النص فليس من الممكن
باستخدام طريقته معرفة ما هو نص وما هو غير نص ، كما أن هذا الأسلوب لا
يوضح الخصائص التى تقوم عليها فكرة النصانية .

يرى « رايزر » أن الإتجاه الذى ساد خلال الستينات هو محاولة إيجاد
نحو للنص على الصورة التى دعا إليها « بيرويش » على أن يستفيد هذا النحو
من الأسس النظرية التى قام عليها النحو التوليدى (ص ٨) لاسيما فى النواحي
التي تتعلق بالجمل الصحيحة وغير الصحيحة ، وكذلك الجمل المقبولة وغير
المقبولة وذلك ما جعل هذا الإتجاه فى نظره يتأثر بنظرية تشومسكى من ناحية ،
وآراء « كاتز » Katz فى المعانى من جهة أخرى . ويذهب « رايزر » إلى أن
اللغويين الذين رأوا الاستفادة من آراء المدرسة التحويلية التوليدية قد إنتهوا إلى
أن المجال الحقيقى لتطبيق أفكار هذه المدرسة هو النص وليس الجمل
المنعزلة .

ثالثاً : ذهب « رايزر » إلى القول بأن نحو النص يبدأ في اللحظة التي يفشل فيها نحو الجملة عن الإجابة على المسائل اللغوية ، ويرى أن القول بأن النص يشكل علماً مستقلاً هو أمر متروك للمستقبل كى يجيب عليه . ويتضح أنه يختلف في هذه الناحية مع « دوبراند » وغيره م الذين قرروا منذ البداية أن علم النص لا بد أن يكون علماً مستقلاً وقائماً بذاته .

رابعاً : على الرغم مما انتهى إليه « رايزر » في الفقرة السابقة ، فقد ركز على ما ذهب إليه بيتوفى Petofi من أسباب تدعو إلى ضرورة ظهور علم النص ويجملها فيما يلي :

١ - لا يستطيع نحو الجملة أن يقدم تعليلاً واضحاً لقوانين التناسق في الجمل والمسائل التي تتعلق بالقضايا Themes وجواباتها Rhemes .

٢ - عدم القدرة على الإجابة على سائر القضايا اللغوية من خلال الإتجاه الوصفى الذى تسير عليه الألسنية الحديثة (ص ١) .

٣ - لا بد أن يفرق النحو بين العناصر التي تتعلق بالمتحدث وتلك التي تتعلق بالمستقبل ، وذلك ما يجعل امكانية الاستفادة من الألسنية التحويلية شيئاً مطروحاً للنقاش :

ويذهب « رايزر » إلى أنه بينما كان اهتمام « بيتوفى » مركزاً على النواحي النحوية فإن إهتمامات « فان دايك » عام ١٩٧٢ قد تجاوزت ذلك إلى النواحي الإجرائية (ص ١١) . والتي دعت إلى مراجعة نظرية « تشومسكى » في القدرة من خلال بحث الجوانب السايكلوجية ، وذلك ما جعل « فان دايك » يستنبط مفهوم البنية الكلية Macro - Structure والتي يتم التعبير عنها من خلال البنى الصغرى في داخل النص .

وعلى الرغم من تلك التطورات في مجال النظرية التوليدية التحويلية ونظريات المعاني التحويلية فيرى « رايزر » أنه لم يتم الاستفادة من تلك التطورات في مجال التفاعل Interaction الذى هو البيئة الأساسية لإنشاء النصوص ، أى أنها لم تركز على القضايا المتعلقة بكيفية إنتاج النصوص واستقبالها .

خامسا : على الرغم مما ذهب إليه « رايزر » فهو يرى أن علم النص لا يسير فى اتجاهات محددة ، وأن الخطوة التى خطتها هذه الاتجاهات فى مراحلها الأولى هى محاولة إيجاد منطلقات مختلفة لوصف النصوص سواء فى مستوى المعانى ، أم فى المستوى اللىكسوغرافى (المعجمى) أم فى مستوى النظرية الألسنية بصفة عامة .

الفصل الثاني

علم النص في منظور هاليدى النظمي

على الرغم من الانجازات التي قام بها كل من «دوبوجرانسد» و «درسلر» و «فان دايك» في مجال علم النص، فما يزال «هاليدى» يتمتع بأكبر شهرة في هذا المجال وذلك لسببين :

الأول : هو أن هاليدى يعتبر إمتداداً طبيعياً للألسنية التقليدية، وتعتبر إنجازاته في هذا المجال تكملة لأعمال أستاذه «فيرث» وذلك ما جعل كثيراً من اللغويين المعاصرين يطلقون على مساهمته مصطلح «الفيرثية الجديدة». والسبب الثاني هو أن «هاليدى» طور الإتجاه النظمي بدرجة كبيرة بحيث إكتسبت أراؤه قدراً من المرونة جعل تطبيقها على سائر المجالات سواء في مجال علم النص أو الألسنية التقليدية أمراً في غاية السهولة. لذلك فقد رأيت أن أفرد لـ «هاليدى» هذا الفصل الخاص الذي أستهدف به توضيح مفهوم النص من منظوره الخاص.

يبدأ «هاليدى» فصله سياق المقام Context of situation بالتأكيد على أنه سوف يركز حديثه أولاً على اللغة من حيث هي ظاهرة إجتماعية، وقد ساقه ذلك إلى تعريف المكونين الواردين في المصطلح المشار إليه سابقاً. وقد بدأ الحديث عن اللغة في المنظور العلامى الاجتماعى Semiotic Perspective ففرق بين منهجه ومنهج الذين سبقوه. فقد ذهب «هاليدى» إلى أن الذين

درسوا العلامة في الماضي قد ركزوا على منظور ذرى تجزيئى إنعزالى .
ويختلف ذلك عن منهجه الذى يتجه إلى دراسة العلامة Sign كنظام للمعاني
Sign System . ويتضح من ذلك أن البعد الوظيفى عند هاليدى هو الأساس الذى
يعتمد عليه فى دراسته للعلامة . وقد قاده ذلك بالضرورة إلى تعريف جديد
للألسنية على أنها دراسة لعلامية المعانى . ولا يحصر « هاليدى » منهجه
النظمى فى دراسة اللغة فحسب إذ هو يؤكد على أن هناك نظماً متعددة للتعبير
عن المعانى فى الثقافات المختلفة مثل الموسيقى والرقص والنحت ونحو ذلك
(ص ٤) وتعنى الثقافة فى مجملها عند « هاليدى » مجموعات من النظم
العلامية ، أو النظم المعنوية التى تتداخل مع بعضها بعضاً ، وذلك ما يبرر عنده
ضرورة دراسة الرموز التى تدل على تلك النظم على أنها شبكات ترتبط ارتباطاً
وثيقاً بما تدل عليه ، وليس على أنها نظم مجردة كما ذهب إلى ذلك « فرديناند
دى سوسير » ويرى « هاليدى » أن المكون الثانى فى عبارته التى ذكرت
أنفاً ، أى المكون الاجتماعى هو قرين للمكون أو النظام الثقافى . ذلك أن
النظام الثقافى الذى يمكن أن يستبدل بمصطلح النظام الاجتماعى هو فى حقيقته
نظام للمعانى . ويرى هاليدى فى ضوء ذلك أن اتجاهه يستهدف دراسة علاقة
اللغة بالبنى الاجتماعية ، وذلك من حيث أن هذه العلاقة هى أحد مكونات
النظام الاجتماعى . وعلى الرغم من أن « هاليدى » قد لاحظ أن كثيرين قد
درسوا اللغة من زوايا مختلفة مثل الزاوية السايكلوجية ، والزاوية الاستطيقية ،
فهو لا يرى منهجه يستهدف إلغاء المناهج السابقة ، بل على العكس من ذلك
فهو يضيف إليها البعد الاجتماعى الذى يعتبره « هاليدى » أساسياً بالنسبة
للمعانى اللغوية ، وذلك ما يجعل اتجاهات « هاليدى » تتسم بالمرونة
والقابلية .

هاليدى ومفهوما السياق والنص :

يحدث التحول الأساسي عند « هاليدى » من خلال إقراره بأن فهم اللغة كنظام يستوجب فهم الكيفية التي تعمل بها النصوص . ويعنى ذلك باختصار إنتقال « هاليدى » من الإهتمام بمستوى الجملة كما كان شأنه في السابق إلى الإهتمام بمستوى النص . ويستعير « هاليدى » هنا من دراساته السابقة مفهوم السياق Context الذى يعتبره مع النص Text يشكلا وجهين لعملية واحدة (ص ٥) . ذلك أن السياق بحسب مفهوم هاليدى هو النص الآخر ، أو النص المصاحب للنص الظاهر . والنص الآخر لا يشترط أن يكون قولياً إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها ، وهو بمثابة الجسر الذى يربط التمثل اللغوى ببيئته الخارجية ، ونظراً لأن السياق يسبق في الواقع العملى النص الظاهر أو الخطاب المتصل به ، فقد رأى « هاليدى » أن يعالج موضوع السياق قبل أن يعالج موضوع النص .

يرى هاليدى أن نظرية السياق قد نشأت قبل نظرية النص ، وذلك من خلال مفهوم سياق الموقف Context of situation الذى قال به « مالينوفسكى » Malinwiski (ص ٥) والذى عنى به البيئة الشاملة التى يدور عليها النص . وقد أدخل مالينوفسكى مفهوماً آخر هو مفهوم سياق الثقافة Context of Culture الذى رآه مع سياق الموقف ضروريين لفهم اللغات والثقافات البدائية ولا يشكلا نفس الأهمية بالنسبة للغات التى تستخدمها المجتمعات الحضارية ، وقد تراجع في فترة لاحقة عن هذا الاعتقاد ورأى نوعى السياق مهمين لسائر أنواع اللغات والمستويات الحضارية . وقد أخذ المفهوم فيما بعد « فيرث » أول أستاذ في علم اللغة في الجامعات البريطانية وطوره على أساس

أن موضوع الألسنية الرئيسى هو دراسة المعنى الذى هو فى نهاية الأمر دراسة السياق بصفة عامة . ويرجع الخلاف بين « فيرث » ومالينوفسكى فى هذا الخصوص إلى أن فيرث حاول أن يجعل من مفهوم سياق الموقف مفهوماً عاماً وأساسياً فى نظرية اللغة ، بينما حصره « مالينوفسكى » فى نصوص خاصة استقاها من بعض رحلاته الأنثربولوجية (ص ٨) . لذلك فقد اهتم « فيرث » بالمشاركين فى الخطاب Participants وبالفاعل Action سواء كان قولياً أم غير قولى بالإضافة إلى الظواهر الأخرى فى الموقف سواء كانت أشياء أم حوادث والآثار التى يحدثها الخطاب فى المشاركين فيه Effects . وقد أخذ « ميتشيل » هذا النموذج وطبقه على كثير من النماذج اللغوية الواقعية . وقد تبع « فيرث » أيضاً ديل هايمز Dell Hymes فيما أسماه باثنوغرافية الإتصال مع شىء من التطوير للفكرة الأساسية . وتأتى المرحلة الأخيرة وهى مرحلة « هاليدى » التى تتسم بنزعتها العملية والبراجماتية . فقد ظل « هاليدى » يتساءل دائماً عن الأسباب التى تجعل الاتصال بواسطة اللغة ممكناً على الرغم من العقبات التى تقف فى طريقها . وقد وصل هاليدى إلى مسلمة أساسية وهى أننا بالتعامل . مع اللغات لا نتوقع فى الواقع مفاجآت وإنما نتوقع ما سيقوله لنا الآخرون ، ولا ينفى ذلك حدوث المفاجآت فى بعض الأحيان . وهكذا رأى « هاليدى » أن مهمة اللغوى تتركز فى معرفة الوسائل التى تمكن المشاركين فى الخطاب اللغوى من تأسيس تلك التوقعات ويأتى فى مقدمة هذه الوسائل من وجهة نظره سياق الموقف الذى يسهم فى جعل عملية الإتصال ممكنة وسهلة .

النص في مفهوم هاليدى :

بعد أن فرغ « هاليدى » من تحديد مفهوم السياق وبيان أهميته إتجه إلى محاولة تعريف النص ، فذهب إلى أن النص هو اللغة التى تخدم غرضاً وظيفياً أى هو اللغة التى تخدم غرضاً فى إطار سياق ما . وقد يكون النص منطوقاً أو مكتوباً . ويقرر هاليدى أنه على الرغم من أن النص يظهر فى شكل كلمات أو جمل ، فإنه فى الحقيقة نظام من المعانى تمت برمجتها فى نظام الشفرة اللغوية Coding من أجل استنطاقها لكشف المعانى الداخلة فيها Decoding . ويرى هاليدى أن النص فى ضوء هذا المفهوم ما هو فى حقيقته سوى وحدة معنوية (ص ١٠) ويعنى ذلك أن النص ليس مجرد جملة أكبر .

ويتفق « هاليدى » مع « دوبرجراند » فى أن علم النص لا يمكن أن يكون مجرد امتداد لعلم النحو ، أو أى نظام عرْفى Virtual يعرف لنا ماهية النص ، ذلك أن التفسير الشكلى للجمل فى خارج إطار السياق يختلف عن تفسيرها وهى مرتبطة بسياق معين . ويرى هاليدى من هذه الزاوية أنه لا بد أن ينظر إلى النص من زاويتين، زاوية أنه ناتج Product ، وزاوية أنه عملية Process ويعنى بكون النص ناتجاً امكان دراسته من حيث مكوناته الظاهرة التى يمكن إبرازها كنظام لغوى علامى . ويعنى بكونه عملية أنه يخضع لعمليات اختيار مستمرة تحدد السياقات البيئية للنص . ويذهب « هاليدى » إلى أن نظرية التفسير Exegesis أو Explication de Texte هى نوع من التعليق على الناتج الذى يكشف عن الطبيعة الديناميكية للنص بصفته عملية (ص ١١) إلا أن التعليق من وجهة نظره لا يعتمد على النظام الذى يقوم عليه النص ، وتكمن

خطورته في أنه لا يوجد نص بدون نظام ، أى أن عدم خضوع التفسير للضوابط التي تحكم النظام النصاني قد تخضعه لكثير من ألوان الشطط والبعد عن المعنى المراد . ولكن يجب في نفس الوقت التوفيق بين النظام اللغوي الذي يحكم النص وذلك الذي يحكم المعاني لأنه لا خير في نظام لغوي صارم يجد الناس صعوبة في استخدامه في الواقع العملي بحسب مفهوم هاليدى . ويقود ذلك هاليدى إلى اعتبار النص في واقعه الاجتماعي عملية تفاعل يتم بواسطتها تبادل المعاني ، أى هو نوع من الحوار بين المتخاطبين باللغة، وهنا تبرز عند هاليدى أهمية محاولة ربط مفهوم النص بالسياق ومعرفة الكيفية التي يكون بها الناس توقعاتهم لما يأتي في النص من خطاب .

وإذا كنا سنركز في مرحلة لاحقة على الأسس السبعة التي أشار إليها « دوجراند » باعتبارها المقومات الأساسية في بناء النصانية فإننا نجد هاليدى من ناحية أخرى يركز على ثلاثة مظاهر أساسية لسياق الموقف ، وتؤثر تأثيراً بالغاً في معالم النص . ويمكن إجمال هذه المظاهر فيما يلي (ص ١٢) .

أولاً : المجال Field ويعنى به هاليدى الموضوع الأساسي الذي يتخاطب فيه المشاركون في الخطاب والذي تشكل اللغة أساساً مهماً في التعبير عنه .

ثانياً : نوع الخطاب Mode وهو نوع النص المستخدم لإكمال عملية الإتصال . ويركز هاليدى هنا على طريقة بناء النص والبلاغة المستخدمة فيه ، وما إذا كان مكتوباً أم منطوقاً ، وما إذا كان نصاً سردياً أم أمرياً أم جدلياً ونحو ذلك .

ثالثاً : المشتركون في الخطاب Tenor ويعنى هاليدي بهذا المفهوم طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين في الخطاب ونوع العلاقة القائمة فيما بينهم ، هل هي رسمية أم غير رسمية ، عارضة أم غير عارضة ونحو ذلك .

وسوف نلاحظ أن تلك المبادئ الثلاثة قد حكمت معظم التطورات اللاحقة في مفهوم النصانية عند هاليدي، بل وقد تعدت إلى كل تلاميذه والمتأثرين به الذين وجدوا فيها مجالاً رحباً ، وهم يعالجون القضايا المتعلقة بالبنية السيميولوجية والاتصالية ، والبراجماتية للنصوص بالإضافة إلى قضايا « الريجستر Register »

يتضح مما عرضنا إليه أن هاليدي ، ذهب إلى تفسير سياق الموقف من خلال إطار فكري يقوم على ثلاثة دعائم هي المجال ، ونوعية الخطاب ، ووسيلة الخطاب . ويمكننا تعريف وظائف اللغة والتي يخدمها النص بحسب مفهوم هاليدي على أنها المكونات الوظيفية للنظام المعنوي . ويقسمها هاليدي إلى ثلاثة مكونات هي (ص ٢٩) .

أولاً : المكون الفكري Ideational وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول هو المكون المنطقي Logical والقسم الثاني هو المكون

الحيزي Experiential .

ثانياً : المكون العلائقي Inter - Personal وهو الذي يحدد نوعية العلاقة

اللغوية بين المشاركين في الخطاب .

ثالثاً : المكون النصاني اللغوي Textual وهو الشكل العلامى الذى

يتخذه الخطاب من أجل أن يخدم غايته الوظيفية . ويبدو واضحاً أن مكونات « سياق الموقف » عند هاليدي تتطابق تطابقاً تاماً مع وظائف النظام المعنوي

للغة ، إذ يتطابق المجال مع المكون الفكروى ، وتتطابق نوعية الخطاب Tenor مع المكون العلائقى Inter-Personal كما تتطابق وسيلة الخطاب Mode مع المكون النصائى . ويأتى هذا التطابق من حقيقة أن عناصر سياق الموقف هى التى تحرك العناصر الوظيفية وتعطيها وجودها المستقل .

ويمكننا أن نوجز مجمل ما ذهب إليه هاليدى فى أن النص هو مجرد وحدة لغوية تخدم غرضاً وظيفياً ويستند إلى ثلاثة عناصر رئيسة . العنصر الأول هو العنصر الفكروى ، والسدى يستند إلى الخبرة المراد التعبير عنها وبها . ويستند هذا العنصر على المكون المنطقى للغة ، والعنصر الثانى هو «الريجيستر» أى نوع الخطاب الذى سيتم إستخدامه ومدى تأثيره بالعناصر الإنسانية المشاركة فيه ، والعنصر الثالث هو النص نفسه من حيث هو وجود لغوى يخضع لضوابط النظام العلامى للغة ، وسنلاحظ فى مرحلة لاحقة أن التطور الذى قام به الدكتور باسل حاتم لمفاهيم هاليدى يتركز فى جعله هذه العناصر أكثر وضوحاً فى علاقتها مع بعضها بعضاً ، وذلك من خلال إعادة تسميتها وتحديدتها ، فقد جعلها الدكتور حاتم ثلاث طبقات Layers هى الطبقة البراجماتية ، والطبقة الاتصالية . والطبقة العلامية . وإذا كان هاليدى قد إهتم بهذه المجالات الثلاثة التى تشكل النص فقد اهتمت رقيه حسن التى شاركته معظم آرائه بعنصر آخر فى بنائية النص وهو عنصر النظم Texture الذى سنعرض له فى الفقرة التالية .

رقية حسن ومفهوم النظم Texture :

ذهبت رقيه حسن إلى أن وحدة النص تعتمد على عنصرين أساسيين ، العنصر الأول هو بنية النص التى تتحكم فيها العناصر الثلاثة التى أشار إليها هاليدى سابقاً (عناصر سياق المقام) . والعنصر الثانى هو عنصر النظم

Texture . والنظم في نظرية رقية حسن هو ذلك المكون الذى يتحكم في علاقات المعاني داخل النص ويكون وحدتها . ويمكن استقصاؤه من خلال بعض العوامل اللفظية والنحوية . وعلى الرغم من أن النظم يخضع لبعض القوانين المحددة في الإستخدام العلامى للغة ، فإن الحكم يخضع في النهاية إلى تقدير المستمع من حيث هو الذى يتلقى الرسالة وتنتهى أهدافها في عقله . ويجب ألا يخلط بين هذا الذى تقوله ونظرية القراءة التى قال بها « رونالدبارت »، ذلك أن نظرية القراءة لا تتناول قضية إخفاق المرسل، لكون النص يصنعه في النهاية قارئه . وأما نظرية النظم فهى تتيح للقارئ فرصة نقد الرسالة وإدراك ما فيها من إخفاق وإكمال نظمي . وقد ذهب رقية حسن إلى تعدد العوامل التى تحقق النظم في النص فيما يلي :

أولاً : أدوات الربط Cohesive Devices :

وتقوم أدوات الربط بتحقيق العلاقات المرجعية Co - refferentiality في داخل النصوص مثل قولنا .

أ - أمتلك كتاباً .

ب - وهو يعالج قضية سياسية .

فالضمير « وهو » يشير في السطر الثانى إلى ذلك الكتاب ولا كتاب غيره . وقد تأخذ هذه العلاقات المرجعية أشكالاً مختلفة كما في المثال التالى :

أ - أمتلك كتاباً .

ب - وأخى يمتلك حصاناً .

ج - لكنه لا يركبه .

فإذا نظرنا إلى الجملة في السطر «ب» وجدنا أنها لم تستهدف الإشارة إلى شيء في الجملة (أ) وإنما استهدفت أن تضع تصنيفاً مغايراً للمالك والمملوك . ويسمى هذا النوع Co - Classification وأما الجملة (ج) فقد مدت المعنى إلى مفهوم جديد لا يرتبط بالإمتلاك ولكنه دون شك يرتبط بالجملة « ب » وهذا النوع من الإمتداد يسمى في اللغة الإنجليزية - Co extension .

وتبينها رقية حسن إلى أن عوامل النظم التي تحدد علاقات المعاني في داخل النص قد لا تكون بهذه البساطة أو المباشرة ، ذلك أن كل وحدة لغوية إنما تشتمل على بيئتين ، البيئة الأولى هي البيئة اللغوية ، والبيئة الثانية هي ما وراء البيئة اللغوية Extra-Linguistics ويعنى ذلك أن التفسير قد يتم من داخل البيئة اللغوية أو من خارجها . وتسمى أداة الربط أداة داخلية Endophoric حين تعمل في إطار البيئة اللغوية للنص Cotext وترى رقية حسن أن هذا النوع من الروابط يعتبر مهما لبنائية النص (ص ٧٦) وقد تشير أداة الربط إلى عنصر سابق عليها Anaphoric أو لاحق عليها Cataphoric وأما إذا كان العنصر المشار إليه خارج البيئة اللغوية للنص فيصطلح على تسميته في الإنجليزية Exphoric reference .

ومهما يكن من أمر فإن مجمل ما ذهبت إليه رقية حسن في مسألة النظم لا يخرج ، عما ذهب إليه البلاغيون العرب وبخاصة عبد القاهر الجرجاني في كيفية إحداث الإبلاغ . وعلى الرغم من ذلك فما تزال هنالك كثير من القضايا التي لا يمكن تفسيرها إلا من منظور بلاغى وجمالى خالص ومن تلك قضايا الغموض والتكرار والحشو الوظيفى وسائر المسائل التي هي من سمات اللغة الأدبية على وجه الخصوص .

الفصل الثالث

مفهوم النصانية

أود أن أركز في البداية على أن كثيراً من الآراء التي إستند عليها علماء النص المعاصرون قد عرفت طريقها إلى الدراسات البلاغية والنقدية القديمة ، ولكن ذلك لا يجعلنا ندخل في مغالطات تاريخية وموضوعية حول ما ذكره هؤلاء العلماء ؟ ذلك أن الفرق بين دراسات علم النص الحديث والدراسات النقدية والبلاغية القديمة هو نفس الفرق بين الألسنية الحديثة والدراسات اللغوية القديمة ، أى هو فرق في المنهج وموضوع البحث ، ولذلك فسوف نقبل ما ذهب إليه « دوبرجراند » واتباع مدرسته من هذه النواحي وحدها .

يرى « دوبرجراند » أن الكتاب الذى نشره في نهاية عام ١٩٦٧ م بالاشتراك مع « ولفانج درسلر » Wolfgang Dressler بعنوان «مقدمة في علم النص » كان باكورة البحوث في هذا المجال الذى لم يلتفت إليه أحد من قبل (Xi) وعلى الرغم من أن إتجاه « درسلر » في ذلك الوقت كان يميل إلى تطبيق المنظورات الألسنية على النصوص، فقد رأى « دوبرجراند » أن هذا الاتجاه يقصر عن الرؤية التى بدأت معالمها تتضح خلال الثمانينات، وهى الرؤية التى لا تميل إلى اعتبار النصوص وحدات تكبر في حجمها عن الجمل بينما تحتفظ بنفس خصائصها ، ذلك أن النص في رأى « دوبرجراند » يتميز بقيمته الاتصالية ، ويعنى ذلك أنه بينما تظل الجملة المنعزلة مجرد وجود منطقي فإن وجود النص يتميز في الأساس بخاصيته الاتصالية . ولا نفهم من

ذلك أن الجملة لا يمكن أن تكون نصاً ، ذلك أن النص هو كل وحدة كلامية تخدم غرضاً إحصالياً ، ويمكن أن تتدرج هذه الوحدة من مستوى الكلمة إلى مستوى العبارة إلى مستوى الجملة إلى مستوى النص وهلمجرا .

ويذهب « دوبراند » إلى أن دراسة النص من هذا المنظور تختلف عن دراسة الجملة من المنظور السوسيري الخالص ، ذلك أن دراسة النص من هذا المنظور تتطلب توحيد مجموعة من العلوم التي تعالج القضايا الذهنية والاجتماعية والسايكولوجية في الدراسات النصائية ، لكون هذه العلوم تتداخل في إضاءتها لكثير من جوانب الدراسات النصائية . ويرى « دوبراند » أن الدراسات النصائية قد مرت بثلاث مراحل رئيسة ، المرحلة الأولى هي التي انتهت بحلول الستينات ، ولم تكن ذات أثر يذكر على تيار ألسنية الجملة الغالب ، وكان من رواد هذه المرحلة « انجاردن » و « بوهلر » و « همسلف » وغيرهم . وقد بدأت المرحلة الثانية في نهاية الستينات وعلى وجه التحديد عام ١٩٦٨ حين بدأ عدد من العلماء مثل « رقية حسن » و « بايك » و « ايسنبرج » يعملون بشكل منفرد في مجال الدراسات التي تتجاوز مستوى الجملة. (١١ ×) إلا أن إتجاه هؤلاء لم يبرز أثراً حاسماً لكونه نظر إلى النصوص على أنها تتابعات لمجموعات من الجمل . وكما رأينا فقد ذهب « دوبراند » إلى أن من أهم الحركات التي ظهرت في عام ١٩٦٨م حركة الاحتجاج على إتجاه النحو التحويلي التوليدي والتي أدت إلى ظهور نحو الحالة « Case Grammar » الذي راده « فلمور » وإتجاه المعاني التحويلية الذي راده « ماكولي » و « لاكوف » وغيرهما. وعلى الرغم من أن هذه الإتجاهات أظهرت بعض جوانب القصور فيما يتعلق بتناول قضية المعنى عند النحويين ، فقد حافظت في مجملها على المبادئ الأساسية التي قامت عليها ألسنية الجملة .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان الاتجاه في المرحلة الثالثة التي بدأت عام ١٩٧٢ ، يتركز على محاولة إيجاد نظرية بديلة تحل محل النظريات الألسنية السائدة والتي ثبت عدم قدرتها على الصمود في وجه التساؤلات الأساسية التي تستوجبها الدراسات اللغوية المتكاملة . وقد قام هذا الاتجاه على جهود طائفة من العلماء كان في مقدمتهم « فان دايسك » و « دوبرجراند » و « درسلر » وغيرهم . ويلاحظ أن كثيرين ممن أسهموا في هذه الاتجاهات كانوا من العلماء الذين ظلوا يحتجون على إستقلالية الدراسات الألسنية عن « السياق الإجتماعي » بالاضافة إلى علماء الحاسوب الذين حاولوا أن يدرسوا الكيفية التي تتم بها برمجة اللغة في عقل الإنسان ، وذلك من أجل الاستمادة منها في مجال دراسات الحاسوب . وكما ذهب « دوبرجراند » فقد حاولت هذه الاتجاهات جميعها معرفة أكثر من وصف مكونات الجملة . لقد حاولت معرفة الكيفية التي يستخدم بها الإنسان اللغة الطبيعية . وهكذا بدأ «علم النص » يغزو الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث في مختلف أنحاء العالم .

القضايا الأساسية التي قام عليها علم النص من منظور « دوبرجراند » : يرى « دوبرجراند » أن تحولاً أساسياً قد حدث في الدراسات اللغوية المعاصرة بالانتقال من دراسة الجمل المنعزلة إلى دراسة النصوص التي تعبر عن اللغة في حالة الاستخدام الفعلي التي هي مواقف الإتصال . ولا يعتبر « دوبرجراند » هذا التحول مجرد تحول للتعامل مع وحدات أكبر، بل هو تحول يستهدف في أساسه دراسة العمليات التي يتم بواسطتها توظيف اللغة كأداة من أدوات الإتصال ، وذلك ما أوجب الإهتمام بكثير من العلوم التي

تدخل في هذه العملية مثل علم الاجتماع والفلسفة ، والسايكولوجيا والحاسوب والسميولوجيا ونحوها . وقد ذهب « دوبرجراند » إلى أن علم النص يبدو من هذه الزاوية على أنه المجال القولي للسميولوجيا ص (٢) ، ونلاحظ منذ البداية أن « دوبرجراند » يفرق تفريقاً واضحاً بين مفهوم النص ومفهوم الخطاب ، ذلك أنه بينما يرى النص هو أداة الإتصال ، فإن الخطاب Discourse عنده هو مجموعة النصوص المرتبطة ببعضها بعضاً ، والتي يمكن أن تواصل في وقت لاحق . مثل أن نقول الخطاب الأدبي ، والخطاب الديني ، ونحو ذلك . ولا شك أن الكثيرين قد يختلفون مع « دوبرجراند » في مثل هذا التعريف ، ولكن ذلك لا يشكل أهمية خاصة لأن المصطلح في هذا المجال ما يزال عرضة لتقلبات كثيرة ، والمهم هو أن يكون التعريف واضحاً في إطار السياق الذي يستخدمه الكاتب .

ويبدو واضحاً أن النظرية الأساسية التي يستند عليها « دوبرجراند » في تعامله مع النص هي نظرية النظم System Theory والنظام في نظر « دوبرجراند » هو الوحدة التي تجعل مجموعة من العناصر تتفاعل من أجل تشغيل البنية الكلية للنظام ص (٥) وهذا هو نفس المنطق الذي بدأ منه « سوسير » و « هاليدى » و « لايوف وغيرهم. ويذهب « دوبرجراند » إلى أن النظام اللغوي بصفة عامة يقوم على تفاعل بعض العناصر التي يمكن ملاحظتها مع بعض العناصر الأخرى التي لا يمكن ملاحظتها . ، ونظراً لأن هذا الجانب سوف يتضح بصورة كاملة من خلال عرضنا لأراء « دوبرجراند » فأرى إلا نعالجه في هذا الموضوع بغية الاختصار وعدم الخروج من موضوعنا الأساسي . ومع ذلك فسوف نشير إلى بعض النواحي التي توضح الاختلاف الأساسي بين منهجية « دوبرجراند » ومنهجية

الدراسات التي سبقته في مجال الألسنية .

يرى « دوبرجراند » أن المرحلة الأولى في الدراسات الألسنية المعاصرة قد تميزت بمنهجها الوصفية Discriptive Linguistics وقد انجزت هذه المرحلة وصفاً لكثير من اللغات من خلال المفاهيم التاجيمية التي طورها بايك ١٩٦٧ و « روبرت » لونغياكر « وغيرهما ، وقد أهملت هذه المرحلة كثيراً من الجوانب المؤطرة في البنية اللغوية مثل إستراتيجيات الإتصال والعمليات الذهنية ونحو تلك من الأمور التي يحفل بها الوصفيون .

ولقد اختلف إتجاه التحويليين عن إتجاه الوصفيين من حيث إنه ركز على الجوانب المنطقية في اللغة . وقد حاول أن ينشئ نموذجاً لغوياً صارماً ظهرت المفارقة بين شكله المثالي وواقع اللغة التطبيقى . ذلك أن الألسنية التحويلية قد ركزت على إيجاد نموذج لغوى مثالي يتحدث المتحدث الأصيل باللغة ، وهو أمر لا يتحقق في العادة في الواقع ، إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية الإتجاه التحويلي الذي فتح مجالات كثيرة في البحث اللغوى سواء في جوانب البرمجة اللغوية ، أم في الجوانب الإبداعية للأستخدام اللغوى . ولكن «دوبرجراند» يرى رغم ذلك أن الإتجاه التحويلي يظل ناقصاً حتى يوضح الكيفية التي يتم بها إنشاء النصوص وفهمها ص (٥) .

ومهما يكن من أمر فإن دوبرجراند « يرى أن من أهم ما أنجزته الإتجاهات السابقة هو أنها نظرت إلى اللغة على أنها نظام يمكن تحليله بأساليب منهجية وليس مجرد أصوات غير خاضعة للنظر الموضوعى . وأما جوانب القصور فقد تركزت على النماذج Models التي تم بها وصف اللغة ، ذلك أن ما إتجه إليه الوصفيون هو تكوين تجمعات للوحدات اللغوية الصغيرة Toxonomies « النظام الصوتى — النظام المورفولوجى النظام النحوى ونحو

ذلك « ولكن ذلك لم يكن إتجاه التحويليين الذين إهتموا بالجوانب التى تنتمى إلى اللغة وتلك التى لا تنتمى إليها . وقد ذهب التحويليون إلى تحديد القواعد التى يمكن بها إنتاج الكلام أكثر من إهتمامهم بالتصنيفات الجمالية كما فعل الوصفيون . ويبدو من ذلك أن إتجاه التحويليين لم يهتم بالقواعد المجردة التى يتم بها تكوين الكلام الصحيح حسب مفهوم الوصفيين ، وذلك ما جعل مهمة التحويليين تنسم بالصعوبة ، ذلك أن مثل هذه القواعد إنما تتمثل فقط فى البنية الشكلية للغة ولا تختص بالأمور الخارجة عن تلك البنية مثل السياق Context الذى هو الأساس الذى يحكم البنية الشكلية كما ذهب إلى ذلك « دوبرجراند » ص (٦) ، ويبدو وفق هذا المنظور أن النموذج الألسنى الذى لا يستطيع أن يقدم شيئاً غير وصف الجمل لا يستحق أن يوصف بأنه توليدى Context لأن الاسم الصحيح له هو أنه نموذج وصفى .

ومهما يكن من أمر فقد كان التيار السائد فى الإتجاهات الألسنية السابقة هو عزل الجوانب اللغوية والتركيز عليها دون سائر العناصر الأخرى كالتركيز على الأصوات أو المعنى أو نحو ذلك . وقد أدى هذا الإتجاه فى معظم الأحوال إلى دراسة التركيب Syntax بمعزل عن المعنى، مع أن التركيب هو نتيجة التفاعل بينه وبين المعنى كما يقول « دوبرجراند » ص (٧) وهو التفاعل الذى يولد عدداً من الإحتالات التى تجد طريقها إلى البيئة التركيبية . ويلاحظ « دوبرجراند » أنه فى إطار السيميلوجيا التقليدية فإن سائر العناصر التى تتعلق بجوانب التنظيم الشكلى قد درست تحت باب التركيب Syntax وأن المعانى درست تحت باب السيماتيك Semantics بينما درس الاستعمال اللغوى تحت باب البراجماتية Pragmatics (ص ٨) ، إلا أنه فى

ضوء التجزيئية المشار إليها آنفاً ، فقد اعتبر التحويلييون أن دراسة المعنى هي محاولة تفسير البنى التركيبية التي أنجزت فعلاً ، وقد أعتبرت المرحلة البراجماتية مجرد مرحلة إضافية . ويرى « دوبرجراند » أنه في ضوء هذا الاتجاه فقد أهمل عنصر التفاعل Interaction بين هذه المستويات الثلاثة في البناء اللغوى ، ذلك أن تفسير سائر العناصر قد تم من خلال تحليل التركيب اللغوى ، وفي حالة اتجاه المعانى التوليدية Generative Semantics فقد تم التفسير من زاوية المعنى . ويوجه « دوبرجراند » الأنظار في ضوء ذلك التحليل إلى أن أى نموذج Model لغوى يصمم لدراسة اللغة يجب أن يبنى على نظرية النظم Systems التى توضح الكيفية الشاملة التى يعمل بها كل نظام دون عزل لأى جانب من جوانبه بدون مبرر كاف لذلك . وذلك ما جعل « دوبرجراند » يتجه نحو دراسة التفاعل فى البيئة النصائية على عكس إتجاهات التحويليين الرياضية التى نظرت إلى كل عنصر من عناصر اللغة على أنه كائن مستقل بذاته عن بقية العناصر . وقد وضع « دوبرجراند » فى ضوء تصور الجديد أن دراسة النص اللغوى بصفته الوحدة القولية التى تخدم غرضاً إتصالياً ، يجب أن تركز على نوعين من أنواع الترابط النصائى .

أولاً : الترابط النحوى Sequential Connectivity

ثانياً : الترابط المعنوى Conceptual Connectivity .

كما تركز على العناصر التى تجعل التفاعل بين هذين النوعين من التفاعل ممكناً ، وهى العناصر التى يجمها « دوبرجراند » تحت مفهوم الاجراءات التخطيطية Mapping Procedures وهى الاجراءات التى تتولد عنها الظواهر الأسلوبية فى النص ، ذلك أن الأسلوب ما هو سوى الكيفية التى يتم بها تحويل الاستراتيجيات القولية إلى بنى نصائية ظاهرة . وهكذا يبدو أنه

على الرغم من وجود عدد من النظم في داخل البنية النصانية لكيل منها ضوابطه الخاصة، فإن بنائية النص إنما تعتمد على تنظيم هذه النظم من خلال عملية التفاعل التي أشرنا إليها ، والتي ينتج عنها النظام الجديد بوصفه خياراً إحتيالياً . وأما الضوابط Controls التي يعتمد عليها هذا النظام الجديد فتأتى من خارج النظم الداخلة في تكوينه ، وهو الأمر الذى أهملته الألسنية التقليدية . ويخلص « دوبرجراند » من كل ذلك إلى أنه ينبغي أن ينظر إلى النصوص من خلال البنية الثلاثية التالية :

أولاً : التركيب وهو الذى يتعلق بالترابط النحوى .

ثانياً : المعنى وهو الذى يتعلق بالترابط الفكروى .

ثالثاً : البراجماتيك ، وهو الذى يتعلق بالخطط والأهداف والأفعال (ص ١٠) التى يسلكها النص من أجل تحقيق أهدافه . وعلى الرغم من أن كل عنصر من هذه العناصر يتقيد بضوابطه الخاصة ، فإن استمرارية التدفق فى البيئة النصانية إنما تنبع فى الأساس من توجيهات الضوابط النصانية أى من الغاية التى يريد أن يخدمها النص ، ويعنى ذلك بحسب مفهوم « دوبرجراند » أننا فى دراسة النصوص لا نكتفى فقط بوصف التراكيب اللغوية ، وإنما يجب أن نكون قادرين على تحليل العمليات التى يتم بموجبها تكوين النص وبنائه فى تراكيب لغوية ظاهرة ، وعندئذ سيتضح لنا أن مجمل الدراسة اللغوية إنما تتركز فى الواقع حول مفهوم الترابط Connectivity .

علم النص وألسنية الجملة فى منظور « دوبرجراند » :

لحظ « دوبرجراند » أن سائر الدراسات اللغوية من العصور القديمة وإلى العصر الحاضر قد ركزت على دراسة الجملة دون أن تحدد هذا المصطلح تحديداً دقيقاً ، ذلك أن الجملة قد عنت عند بعض اللغويين تلك

الوحدة التى تحتوى على معنى كامل ، وعنت عند بعضهم وحدات من الكلام تليها سكتة ، كما عنت عند آخرين بنية شكلية تحتوى على مكونات شكلية (ص ١١) . ويلاحظ عند تحليل سكتات الكلام أن كثيراً من القطاعات اللغوية التى اعتبرت بأحد المعايير جملاً قد لا تصبح كذلك بمعايير أخرى .

ومهما يكن من أمر ، فقد أعتبرت الجملة دائماً هى الوحدة الأساسية للغة ، كما أعتبرت اللغة مجموعة من الجمل فى منظور النحو التحويلي . وقد ذهب «دوبوجراند» إلى أن الأسماء تحول بواسطة التحويليين لتصبح جملاً ، ذلك أن الجملة عندهم ليست مجرد شكل نحوى ، بل هى أيضاً تقرير منطقي . وذلك ما يجعل الخصائص التى تحدثوا عنها صفات وخصائص للغات منطقية وليس للغات طبيعية (ص ١١) . وهكذا فقد إنجبه «دوبوجراند» مباشرة إلى تحليل النصوص بصفتها تعبيراً عن اللغات الطبيعية التى تحتوى فى داخلها على مستويات مختلفة ، وقد تصاغ فى شكل جمل أو فى غير ذلك ، والمهم دائماً هو أن تحمل خصائص النصانية التى أجملها «دوبوجراند» فيما يلى (ص ١١) .

١ — يعتبر النص نظاماً حقيقياً بسبب كونه وسيلة عملية للإتصال Actual System بينما تعتبر الجملة مجرد نظام عرقي إعتباري Virtual system لأنها من الممكن أن تنشأ بغير غرض الإتصال . ويبدو فى ضوء هذا التحديد أنه بينما يكون النص خاضعاً للتحليل من جميع المكونات التى يقوم عليها مفهوم النصانية والتى سنشرحها فيما بعد ، فإن الجملة يمكن أن تحلل من زاوية واحدة وهى كونها تركيباً نحوياً مجرداً .

٢ — يمكن عند تكوين النصوص تجاوز كثير من العقبات النحوية

والتركيبيات غير الضرورية التي يمكن أن تستخلص من السياق دون حاجة إلى ذكرها في النص . ويبدو في ضوء ذلك أن النحو لا يعتبر قانوناً ينظم الكلام ، بل هو في كثير من الأحيان يشكل عقبة يجب تجاوزها بكثير من الأساليب النصائية .

٣ — يمكن التفريق بين الجمل الصحيحة والجمل غير الصحيحة بواسطة القوانين التي يحددها النحو ، ولكن التفريق بين ما هو نص وما هو غير نص لا يخضع لمثل هذه الصرامة الميكانيكية ، ذلك أن الذى يحدد نصائية النص هو مبدأ القبول Acceptance الذى يلعب السياق والتدرج فيه دوراً حاسماً وكبيراً. ويمكننا أن نجد أمثلة لذلك في كثير من الأنماط الأدبية التي تخالف القوانين النحوية بشكل صريح ، ومع ذلك تكون مقبولة لدى الجمهور (أدب اللامعقول) .

٤ — لا بد للنص أن يتوافق مع الموقف ، ذلك أن الموقف هو الذى يحدد نوعية الاستراتيجيات الفعالة ، كما هو الذى يساعد على إنشاء التوقعات والمعرفة المطلوبة ، والتي يطلق عليها مفهوم السياق الذى لا بد أن يكون موجوداً من أجل أن يخدم النص غرضه الإتصالي ، ويطلق على النص دائماً مصطلح النص المصاحب Cotext وذلك لكونه يتبع السياق دائماً .

٥ — ويبدو في ضوء ما ذكر أن النص لا يمكن أن يفسر على أنه نتاج « للرموز » و « المورفيمات » لأنه فعل يحاول بواسطته منشاء النص أن يوجه متلقيه إلى كيفية تلقيه ، وليس هذا هو شأن الجمل المنعزلة التي لا تهدف إلى تغيير وضع معين أو توجيه المتلقى إلى شيء من هذا القبيل .

٦ — يعتبر النص تابعاً لحالات مختلفة عاطفية واجتماعية وإقتصادية ونحو ذلك Progression of occurrences وهو دون شك يخضع لبعض الضوابط

التي تجعل عملية التغيير والتحول في داخله ممكنة ، ولكن هذه الضوابط لا تشبه قوانين النحو المجردة التي تنطبق على المكونات « السنكرونية » التي تمثلها الجمل المنعزلة والتي لا تنتظم في داخل سياق معين .

٧ - ويرى « دوبرجراند » أن الأعراف الإجتماعية تجد طريقها إلى التطبيق المباشر على النصوص أكثر من تطبيقها على الجمل، وينطبق ذلك أيضاً على النواحي السايكلوجية التي تعمل بطريقة خاصة في برجة اللغة وفهمها .

٨ - ويذهب « دوبرجراند » إلى أنه بينما يحتاج مستخدم اللغة إلى معرفة القواعد العرفية من أجل تكوين الجمل ، فهو يحتاج إلى خبرة التناص Intertextuality من أجل إنشاء النصوص وفهمها ، خاصة في المجالات التي تحتاج إلى خبرة خاصة مثل كتابة التقارير و « البروتوكولات » والتلخيصات ونحو ذلك .

٩ - يتطلب علم النص صرف البحث عن إيجاد قوانين ثابتة لتكوين النصوص إلى مجموعة الاجراءات الواجبة لإنشاء النصوص في بيئة اجتماعية تستند في الأساس على ظروف الموقف . ويعنى ذلك أنه ليست هنالك قوانين صلبة لتكوين النصوص، وإنما هنالك عمليات تتناسب مع إستراتيجية التخطيط والسياق تساعد على إنشاء النصوص ، ذلك أن مهمة النص هي أن يخلق بيئة إتصالية وليس أن يبرز الكيفية التي تستخدم بها القواعد اللغوية كما هو الشأن في اللغويات التي تستند على دراسة الجملة . ويعنى ذلك أن علم النص لا يستهدف وضع قوانين مجردة تولد بها النصوص كما تولد الجمل .

١٠ - يلاحظ بحسب مفهوم « دوبرجراند » أن النجاح الذي حققته ألسنية الجملة قد إستند في الأساس على استبعاد النماذج غير الملائمة ، بينما يعتمد نجاح علم النص على مجموعة واسعة من النصوص المتنوعة التي تشمل

سائر ألوان التعبير في مختلف القطاعات مثل الصحافة والإعلان ، والعلم والأدب ونحو ذلك .

١١ — يستهدف علم النص دراسة مبدأ النصانية وليس إيجاد النحو الذى يفرق بين ما هو نص وما هو غير نص، ذلك أن ما هو غير نص هو الوحدة القولية التى تفشل فى أن تحقق غرضاً إتصالياً .

١٢ — يرى « دوبرجراند » أنه فى ضوء المسلمات السابقة ينبغى أن ينظر إلى علم النص على أنه علم يحقق التعاون والتداخل بين عدد من العلوم الإجتماعية والسايكولوجية والحاسوبية ولا يمكن أن ينظر إليه من منظور الألسنية التقليدية الخالص .

وكما نرى فإنه على الرغم من أن علم النص كما بينه « دوبرجراند » ما يزال فى بداياته الأولى ، فإنه يمثل نقلة مهمة فى الدراسات اللغوية المعاصرة ذلك أنه يضع حداً للغلو والإسراف الذى اتسمت به الألسنية الحديثة فى مراحلها الأولى ، وهو يبدو أكثر تواضعاً فى وصف منهجه ونتائجه لأنه يكتفى بذكر الاجراءات التى تتحقق بها «النصانية» دون أن يستهدف وضع قوانين صارمة Categorical تحكم عملية الإستخدام اللغوى ، وما دام الهدف هو تحقيق فكرة النصانية التى هى أداة الاتصال فى الواقع الحقيقى ، فيجب علينا أن نقف مع « دوبرجراند » مرة أخرى لنستجلى مفهوم النصانية Textuality بحسب تعريفه .

مفهوم النصانية عند « دوبرجراند :

يعتبر مفهوم « النصانية » أهم المقومات التى يقوم عليها علم النص ، بل هو المفهوم الذى يبرر أساساً وجود هذا العلم كعلم مستقل .

فما المقصود بـ «النصانية» ؟ Textuality يرى «دوبوجراند» أن مفهوم النظام لا يقتصر فقط على المستويات المختلفة في اللغة بصفة عامة ، بل على النصوص أيضاً بصفاتها نظاماً حقيقية Actual systems يتم إنشاؤها من خلال عمليات الاختيار والمفاضلة واتخاذ القرارات بحسب ما أوضحه «هارتمان» . وقد أوضحنا الفرق بين هذا النوع من النظم والنظم العرفية Virtual Systems مثل النحو التي لا يشترط أن تستخدم إستخداماً فعلياً . وعلى الرغم من وجود كثير من التيارات القرائية الحديثة التي تتعامل مع النص وكأنه وجود غير قائم فإن «دوبوجراند» يرى أن كثيراً من المشاكل التي تتعلق بالغموض وإحتمالات التفسير إنما تتحكم فيها العناصر العرفية الداخلة في نظام النص . ويرى «دوبوجراند» أن محاولات «هاريس» والتحويليين في إيجاد قواعد عرفية لإنشاء النصوص قد آلت جميعها إلى الفشل لأنها لم تستطع أن تضع معياراً ثابتاً للكيفية التي يتصرف بها الناس في إنشاء النصوص ، ولأنها لم تستطع أن تحدد موقفاً واضحاً من النصوص غير النحوية ومن اختلاف الأساليب في داخل النصوص . لذلك فقد إقترح «دوبوجراند» بعض المبادئ العامة التي تصلح أساساً للنصانية دون أن تكتسب هذه المبادئ صفة القوانين الصارمة، أي هي مجرد مؤشرات مهمة في إنشاء النصوص . وهذه المبادئ هي ما يلي :

أولاً : التماسق Cohesion والمقصود به الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في بنية النص الظاهرة ، أو بصورة مبسطة يقصد به التشكيل النحوي للجمل والعبارات وما يتعلق بها من حذف وإضافة ونحو ذلك .

ثانياً : الترابط الفكروي Coherence والمقصود به الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار في داخل النص بحيث يمكن إستعادتها مرة أخرى . ويتطلب

ذلك وجود منطق للأفكار مبني على الخبرة وما يتوقعه الناس من النصوص في هذا المجال .

ثالثاً : القصد Intentionality . ويتضمن ذلك أن النص ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً ومتربطاً لكي يحقق هدفاً معيناً ، وبمعنى آخر هو عمل مخطط Planned يستهدف به تحقيق غاية بعينها Goal . وبالطبع فقد لا يستطيع منشيء النص أن يفى بالتزامات هذا العنصر النصي ، ولكن ذلك لا يعنى إخفاق النص بصورة كاملة ، إذ يظل هنالك مدى لإحتمال الإخفاق Tolerance .

رابعاً : الموقفانية Situationality ويعنى هذا العنصر ضرورة أن يكون النص موجهاً للتلاؤم مع موقف معين بغرض كشفه أو تغييره . وقد يكون الموقف مباشراً يمكن إدراكه من البيئة أو غير مباشر ، ويمكن إستنتاجه بواسطة التأمل . وهذا العنصر يفترض وجود إثنين يتعاملان مع النص ، أحدهما مرسل والثاني مستقبل .

خامساً : التناص Intertextuality ويرى « دوجراندي » أن عنصر التناص هو أهم العناصر في نظرية أنواع النصوص ذلك أن النصوص إنما تكتب بحسب رأيه في إطار خبرة سابقة . وعلى الرغم من أن مفهوم التناص يثير كثيراً من الإشكالات لأن بعض المحدثين قد حرفوه عن معناه الصحيح ، فالواضح أن المقصود به ليس هو أن النصوص إنما تمثل إعادة لبعضها بعضاً، بل المقصود به هو أن النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها .

سادساً : الإخبارية Infomativity . ويرى « دوجراندي » أن الإخبار يشكل عنصراً مهماً من عناصر النص ، وتختلف درجة الإخبار من نص إلى

آخر بحسب نوعه وغايته ، ولكن المؤكد هو أن كل نص يجب أن يشمل على قدر من المعلومات الإخبارية .

سابعاً : Acceptability ويقصد به مدى إستجابة المتلقى للنص وقبوله له . ولا شك أن هنالك مدى لإحتمال المتلقى من هذه الناحية .

وعلى الرغم من أهمية تلك العناصر ، فيرى « دوبرجراند » أن طريقة تصميم النص إنما تعتمد على ظروف الواقع ، والمهم دائماً هو أن يكون النص فعالاً ومؤثراً ومناسباً . وإذا تأملنا ما ذهبنا إليه سابقاً وجدنا أن علم النص يحاول أن يوجد نوعاً من التوازن بين العناصر النحوية والتقليدية في اللغة والعناصر غير النحوية التي تدخل في إنتاج النصوص من حيث هي وحدات علامية إتصالية . وهى العناصر الذهنية Cognitive aspects والعناصر غير اللغوية Extra - Linguistics والتي أهملت إهمالاً تاماً في مجال دراسات الجملة .



الفصل الرابع

نظرية أنواع النصوص

سوف نلاحظ بصورة عامة أن الأسس التي بنى عليها الدكتور بأسل حاتم مقولاته هي نفس الأسس التي قال بها هاليسدى . ومثع ذلك فسوف نلاحظ تطوراً مهماً إنتهت إليه دراسات الدكتور حاتم، وهو أن بنية النص لا تكون محايدة وقائمة على أسس علاميه خالصة، وإنما تتأثر بنوعية النص في الدرجة الأولى ، وذلك ما جعل الدكتور حاتم يذكر في تلخيص دراسته بعنوان « نظم الخطاب في الترجمة : نحو إعادة تعريف مفهوم القضية وجوابها من منظور نظرية أنواع النصوص » ما يلي :

« إن الهدف من كتابة هذا البحث هو إعادة تعريف مفهوم القضية وجوابها من خلال نموذج معيارى لكيفية إنتاج النص الخطابى الذى يتحدد بموجبه إطار النص النوعى الذى هو جماع المكونات الأساسية للسياق » .

ويعنى ذلك بإختصار أن البنى الداخلية للنصوص إنما تتأثر إلى حد كبير بكيفية تشكيل القضايا وجواباتها في داخل النصوص ، وذلك ما يوجد التفاوت الأساسى بين أنواع النصوص المتباينة . ويلاحظ أن الدكتور حاتم يبدأ دراسته بعنوان : « تحليل الخطاب : محاولة في تعريف الاختلافات النصانية، بالحديث عن الخطاب والنص » (ص ٢) بالتركيز على أن عملية إنتاج الخطاب إنما تتم في إطار من التفاعل الذى هو نوع من التعاون بين مرسل النص ومستقبله . ويقوده ذلك إلى وضع تعريف للنص على النحو

التالى « النص هو تتابع من الجمل تؤطر مجموعة من النوايا الإتصالية بين طرفين لتحقيق غرض إبلاغى » (ص ٢) .

ويتجه الدكتور حاتم فى البداية إلى الأخذ بما إنتهى إليه « فان دايك » وذلك باعتباره « النصانية » تقوم على عمليتين من عمليات الإنتاج ، تتضمن الأولى تعليمات السياق الكبرى Macro - Contextual Instructions وهى التى يتحدد بموجبها الإطار العام للنص والذى يصطلح عليه الدكتور حاتم بمقولة الطرف السياقى Contextual envelope. وتتضمن الثانية تعليمات السياق الصغرى Micro - Contextual Instructions (ص ٢) . وهى التى تحقق مكونات النص الداخلية مثل الجمل وكيفية تتابعها وفق الأسس التى يحددها الإطار العام للنص .

ويذهب الدكتور حاتم متأثراً بـ « هاليدى » إلى تحديد ثلاث طبقات رتبة تقوم عليها النصوص ، وهى الطبقة الإتصالية Communicative والطبقة البراجماتية Pragmatic Layer والطبقة العلامية Semiotic layer تتعاون جميعها من خلال تعليمات السياق الكبرى لتصبح حقيقة ملموسة من خلال تعليمات السياق الصغرى التى تعرف المعنى السياقى للنص . ويرى الدكتور حاتم أنه بالإمكان وصف النص من الوجهة الاتصالية من زاوية المتحدث أو من زوايا المتغيرات الأخرى التى هى المجال Field والكيفية Mode ورسمية الخطاب أو عدم رسميته Tenor . وتعلق الطبقة البراجماتية من وجهة نظره (ص ٥) بتحديد العلاقة بين الخطاب ومستخدميه ، وتتأثر هذه الطبقة بواقع العالم الذى نعيش فيه ، ذلك أن معرفة مستخدمى الخطاب بواقع العالم وما يريدونه من إستخدام الخطاب يقودهم إلى تقرير نوع الفعل الذى يضمونه البنية التركيبية والمعنوية للخطاب . وأما الطبقة العلامية ، فتتعلق بالواقع والكيفية

التي يتفق عليها الناس في ثقافة ما على استخدام نظام العلامات الذي يقود إلى التفاهم فيما بينهم . ويتضمن ذلك بالطبع الكيفية التي يقسم بها هذا النظام من خلال النحو والمعجم في حالة اللغة ، وذلك من أجل تحقيق الغاية « البراجماتية » .

ويتهى الدكتور حاتم من كل ذلك إلى أن تعليمات السياق الكبرى M.C.I هي المرحلة الأولى في بناء النصوص ، ويتكون هذا النوع من التعليمات من خلال الإنطباع العام أو المعرفة الشاملة بما يريد منتج النص أن ينتهي إليه . وعندئذ تظهر للمنهج ثلاث طبقات رئيسة يتحقق بها إنتاج النص وهي التي أشرنا إليها سابقاً، أي الطبقة الإتصالية والطبقة البراجماتية والطبقة العلامية . ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الطبقة الإتصالية لا قيمة لها بدون طبقة علامية . ويبدو من ذلك أن أيًا من الطبقات الثلاث لا يمكن أن تستغل بنفسها ، بما يجعل عملية الإتصال في مجملها عملية اتصالية براجماتية علامية Semio - Pragma Communicative Interface (ص ٧) وذلك ما يجعل النص يستمر ويتطور سواء على مستوى السياق الأكبر أم على مستوى السياقات الصغرى في داخله .

ويذهب الدكتور حاتم إلى أن هذه الطبقات الثلاث تنتج في تفاعلها مع بعضها بعضاً ما يمكن الإشارة إليه بـ « الاطار النوعي للنص » - Text Typological focus . وهو القوة الأساسية في السياق التي تنظم الطبقات الثلاثة التي أشرنا إليها سابقاً في داخل البيئة « النصانية » . ويرى الدكتور حاتم أن الاطار النوعي للنص هو الذي ينظم الكيفية التي يسير عليها تتابع الجمل والأقسام في داخل النص ، كما هو الذي يحدد النقطة التي يتسحتم أن ينتهي النص عندها . ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الإطار النوعي للنص يمكن أن يتشكل في ثلاثة أنواع رئيسة هي النوع السردى Expository والذي يمكن

تبينه في الكتابات الوصفية والقصصية والفكرية بصفة عامة ، والنوع الجدلي Argumentative والذي يمكن أن يكون ظاهراً Overt كما هو الشأن في إفتتاحيات الصحف، أو غير ظاهر ويحتاج إلى تساؤلات لا يضحاه Covert مثل الدعاية والإعلان ونحو ذلك . والنوع الثالث هو الأمرى Instructional والذي يخبر بكيفية التصرف في المستقبل (ص ٨) ولا يرى الدكتور حاتم أن الموضوع الذي يتناوله النوع ذا علاقة بالنوع ، ذلك أن ما يتناوله النوع مثل الإعلان هو ضرب من الخطاب الذي يعبر عنه في أى نوع من الأنواع النصائية السابقة ، ويبدو من ذلك أن الدكتور حاتم يميز تمييزاً واضحاً بين النوع Genre والخطاب Discourse ويرى أن التمييز بين النوع والخطاب ضرورى لحل اشكالية ما يسمى بالنصوص المتداخلة Hybrid texts . وهى النصوص التى لا تعتمد على إطار نوعى واحد ، كما هو الشأن في الروايات حيث يوجد في داخلها السرد والجدل والأمر . ويذهب الدكتور حاتم في ذلك إلى رأى لا نوافقه عليه وهو قوله بعدم وجود نصوص متداخلة لأن النص إنما يتقيد بالإطار النوعى الأساسى الذى يخضع للسياق العام . ومتى خرج النص عن ذلك الإطار النوعى بدأ نص جديد ولكنه يوافق على وجود خطابات متداخلة Hybrid Discourse وكأن الدكتور حاتم يقول بذلك إن ما نعتبره نصاً واحداً يجمع أطراً نوعية كثيرة هو في حقيقته مجموعة من النصوص التى تشكل خطابات مختلفة تتداخل مع بعضها بعضاً . ويستند إختلافنا مع الدكتور حاتم في هذه النقطة إلى أنه يخالف بذلك التعريف الأساسى الذى وضعه للنص والذي يقول بأن النص هو التابع الجملى الذى يحقق غرضاً إتصالياً . وإذا كانت الرواية لا تحقق الغرض الإتصالى إلا بعد الانتهاء من قراءتها كاملة ، ويعنى ذلك التعامل مع عدد من الأطر النوعية في داخلها ، فإن ذلك يعنى أن النص هو الذى يكون متداخلاً وليس مجرد الخطاب ، ذلك

أن الفصل بين الخطاب والنص على هذا النحو هو فصل لا مبرر له لأن الخطاب إنما هو في حقيقته نص في حالة الفعل .

ونخلص من كل ذلك إلى أن الغرض « البراجماتي » يتفاعل مع الغرضين ، الإتصالي والعلامي من أجل أن يتحدد نوع النص الذي يأخذ شكلا علاميا واضح المعالم هو بنية النص الظاهرة . ويعتمد الدكتور حاتم في شرح بنية النص على نظرية القضية Theme وجوابها Rheme وهي التي قالت بها مدرسة براغ ، ذلك أن القضية هي المعلومة المعطاة وجوابها هو المعلومة

١ - النص الجدلي .

قضية ١ ← جواب (١) (قضية ٢ جواب (١)) ← جواب ٢

قضية

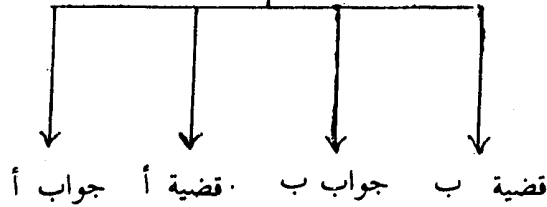
٢ - النص السردى

جواب ١

جواب ٢

قضية (١)

٣ - النص الأمرى



الجديدة التي تصبح بدورها قضية معطاة تحتاج إلى معلومة جديدة تكامل معها ، وهكذا يستمر النص وفق ما يسميه الدكتور حاتم بمفهوم الالتزام Commitment — والاستجابة Response ذلك أن النص هو في الحقيقة عملية تعاون بين مرسل ومستقبل .

ويظل النص مستمراً ما دام هذا التعاون قائماً حتى تصل وحدات النص إلى النقطة الأخيرة التي يسميها الدكتور حاتم نقطة النهاية Thresh-hold of Termination وهي النقطة التي يكون الكلام قبلها ناقصاً وبعدها حشواً Redundancy ولا يحتاج إلى إستجابة . وعلى الرغم من أن الدكتور حاتم يشرح عملية تكوين النص بطريقة رياضية، فنحن نحجم عن الخوض في ذلك لأن الفكرة العامة في كلامه قد وضحت . وإذا كان الاطار النوعى ، والتوزيع التيمى والالتزام والاستجابة هي العناصر التي تلعب الدور الأساسي في بنية النص ، فإن الدكتور حاتم يرى أن النظم Texture هو عنصر أساسي أيضاً في تكوين الصور المختلفة Patterns التي يمكن أن يتشكل عليها النص ليصبح عملياً ، ذلك أن النص ليس مجرد تتابع لجمل وإنما هو تتابع للجمل على نحو خاص ، وكأن الدكتور حاتم يشير بذلك إلى نفس الأسس التي تخلق الترابط النحوى والترابط الفكرى التي أشار إليها « هاليدى » ورقية حسن من قبل والتي أصبحنا نعرفها في مجال الدراسات النصانية بنظرية التناسق Cohesion . ويعتبر عنصر التناسق هو العنصر الأساسي الذى يفرق بين النص Text وغير النص Non - Text (ص ١٥) .

ويتأكد مما ذهبنا إليه سابقاً أن الدكتور حاتم قد تأثر إلى حد كبير بالجوانب النظامية التي ذهب إليها « هاليدى » . وعلى الرغم من أن الدكتور حاتم لم يركز على الجوانب الذهنية كما فعل « فان دايك » فلا شك أنه لم

يحمل الجوانب الذهنية إهمالاً كاملاً . وتعتبر الإضافة الحقيقية له هي تركيزه على نظرية أنواع النصوص وتأثير أطرها النوعية على كيفية بناء النصوص . ولكنه نظر نظرة ميكانيكية إلى التوزيع التيمى فى داخل النصوص ، على الرغم من إهتمامه بجانب النظم Texture ، ذلك أن النصوص لا تؤسس على الجوانب الميكانيكية الخالصة ، إذ الأمر لا يتعلق بالقضايا المثارة وجواباتها أو بالالتزام والاستجابة فحسب ، لأن الإعتاد على هذه الجوانب وحدها يقلل من شأن النواحي الأسلوبية فى النصوص والتي تحدث تغييرات جوهرية فى تتابع القضايا وجواباتها فى داخل النصوص . كذلك فإن القول بأن هنالك نقطة فى داخل النص يعتبر الكلام قبلها ناقصاً وبعدها حشواً هو قول لا يمكن تطبيقه على سائر النصوص ، وخاصة النصوص الأدبية التى تعتمد أساساً على ما يسمى بالحشو الوظيفى ، ذلك أن الأدب هو فى جوهره ضرب من الحشو المقبول . واللغة الأدبية موكولة بتأسيس عالمها الخاص ، ذلك بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقاً من عدم قبولنا لذلك التفريق التعسفى بين ما هو نص وما هو خطاب . وعلى الرغم من ذلك فنحن نعتبر كتابات الدكتور حاتم تتسم بالوضوح وهى على درجة كبيرة من الأهمية خاصة فى المجالات التعليمية .



الفصل الخامس

نظرية الانزياحات

يتضح من مجمل ما ذهبنا إليه سابقاً أن التحول من دراسات ألسنية الجملة إلى دراسات ألسنية النص هو تحول وظيفي في الأساس . ذلك أنه إذا كان الهدف من الدراسات اللغوية هو معرفة الكيفية التى تتم بها عملية الإتصال ، فيجب ألا يكون مجال الدراسات اللغوية هو مجال النظم العرفية الذى تمثله ألسنية الجملة التى تحفل بدراسة اللغة خارج مجال الإتصال، وإنما يجب أن يكون مجال الدراسة اللغوية الأساسى هو مجال النظم الحقيقية التى تخدم أغراض الإتصال فى الواقع العملى . ويؤكد هذا الإتجاه على مسألتين أساسيتين :

أولاً : عدم التركيز فى الدراسات اللغوية على الجمل المنعزلة لكون ذلك يقيم تصوراً ناقصاً لحقيقة اللغة .

ثانياً : عدم إهمال الجوانب الذهنية مثل التأيير Framing والتخطيط Mapping والتحقيق Actualizing التى هى عناصر مهمة فى إنتاج النص اللغوى الذى هو أداة الإتصال بين الناس بصرف النظر عن كون النص كلمة أو جملة أو مجموعة جمل . بالإضافة إلى العناصر غير اللغوية التى تشكل سياق الموقف أو الإطار الخارجى للنص، والعناصر الأسلوبية التى تلعب دوراً كبيراً فى ترتيب الأفكار، بالإضافة إلى العناصر اللغوية وتوزيعها فى إطار البيئة النصية .

وإذا كانت نظرية الأنواع النصائية أو أنواع النصوص كما يشار إليها قد حاولت إلى حد كبير عن طريق نظرية التوزيع التيمى Thematic Progression المتطورة عن النظرية المعروفة بالإطار الوظيفى للجملة قد كشفت كثيراً من الجوانب التى توضح الكيفية التى تختلف بها النصوص عن بعضها بعضاً من حيث هى سردية أو جدلية أو أمرية ، فإن نظرية الانزياحات التى طورتها أخيراً فى جامعة « سالفورد » تبدو أكثر اقتصاداً وقدرة على التطوير الوظيفى من الدراسات التى سبقتها . فقد ذهبت فى هذه النظرية إلى تقسيم النصوص إلى ثلاثة أنواع رئيسة هى :

١ — النصوص الأدبية وهى التى تستخدم فيها اللغة كنظام ثانوى للاتصال Secondary Modelling system ويكون الإطار المرجعى فيها هو العالم الذى ينشئه النص ذاته .

٢ — النصوص غير الأدبية وهى التى تستخدم اللغة كنظام أولى Primary Modelling system حيث يكون الإطار المرجعى هو العالم الحقيقى .

٣ — النصوص المتداخلة وهى التى تمازج بين النوعين السابقين .

وقد ذهبت إلى أن النصوص الأدبية قد خضعت إلى ألوان مختلفة من التحليل والتفسير والنقد ، فقد خضعت للدراسات البنيوية التى أهملت النص من حيث هو بنية إتصالية ، كما خضعت للدراسات الذاتية Subjective Studies التى تعاملت مع النص من خارجه ، وخضعت أخيراً للتيارات « الميرميوناطيقية » والقرائية التى إعتبرت النص وجوذاً غير قائم وإنما هو عمل يتم اكماله بواسطة القارئ الذى يملك حرية التصرف الكاملة فيه . وقد ذهبت أيضاً إلى أن النصوص غير الأدبية والمتداخلة قد خضعت أيضاً إلى كثير من التحليلات الميكانيكية التى أهملت الجوانب الأسلوبية والاتصالية فى

داخل البيئة النصانية ، وفي إطار هذا الواقع طورت نظرية الانزياحات التي أعتبرها قد وضعت اللبنة الأولى لفهم النصوص فهما متكاملان من داخل علم النص ، وذلك ما سأنتجه إلى توضيحه من خلال الفقرات التالية .

لقد ذهبت أولاً إلى أن التفريق بين مفهوم النص Text والخطاب Discourse هو تفريق غير ضروري في هذه المرحلة من تطور علم النص . ذلك أن الاختلافات المطروحة بينهما هي اختلافات إستوجبه عدم الدقة في إستخدام المصطلح لكون الخطاب لا يشكل مجموعة من النصوص كما ذهب إلى ذلك كل من « دويجراند » و« حاتم » ، وإنما هو النص في حالة الإستخدام الفعلي أي هو النص خلال عملية الإتصال ذاتها . ويشبه هذا التوضيح ما إنتجه إليه « رونالد بارت » في التفريق بين العمل Work والنص Text غير أن الفرق بين ما ذهب إليه رونالد بارت وما أنتجه إليه كبير جداً ، ذلك أن « رونالد بارت » يعتقد أن القارئ هو الذي يوجد النص من خلال قراءته للعمل ، وهو يمتلك حرية مطلقة في ذلك . وأخالفه في هذا الإتجاه لأن النص المتحول إلى خطاب يظل محكوماً بالضوابط التي تبينها نظرية الإنزياحات التالى شرحها .

لقد اتفقت مع علماء النص المحدثين وعلى وجه التحديد « دويجراند » « وهاليدى » على أن النص هو وحدة لغوية إتصالية ، وأن غرضه هو تحقيق المعنى الشامل الذى إستوجبه السياق العام من خلال السياقات الصغرى أى مكونات النص الجزئية، وأن عملية الإتصال تتم بين مرسل ومستقبل في ضوء استراتيجيات ذهنية ولغوية وغير لغوية . ولكن الحقيقة الماثلة في نهاية الأمر هي أن النص يتشكل سواء في الكتابة أو الكلام من زاوية المرسل في بنية سطحية ظاهرة Surface Structure وهي البنية التي

يراهما أو يسمعها المستقبل ويحاول من جانبه أن يدرك معانيها ، وما لم يكن كلا المرسل والمستقبل مدركين لكيفية تشكيل البنية الظاهرة للنص ، فسيكون من الصعوبة بمكان تشكيل النص أو فهم معناه سواء كان النص أدبياً أم غير أدبي . ولقد إتجهت هنا إلى التفريق بين أنواع المعاني المشتملة في داخل النصوص والتي تتداخل مع بعضها بعضاً لتكون البنية الشاملة للنص . وقد وضحت لي هذه المعاني في ثلاثة أنماط هي التي أشارت إليها البلاغة العربية القديمة بصفتها علماً للإتصال ، وأيضاً البلاغة اليونانية .

أولاً : المعاني المنطقية أو المعاني الالزامية Obligatory Meaning وهي التي تشكل دوائر التحكم في المعلومات التي ينقلها النص وتساعد على تطور معنى النص وانتقاله من مرحلة « معلوماتية » إلى مرحلة أخرى وهي التي عنى بها علم المعاني في البلاغة العربية القديمة .

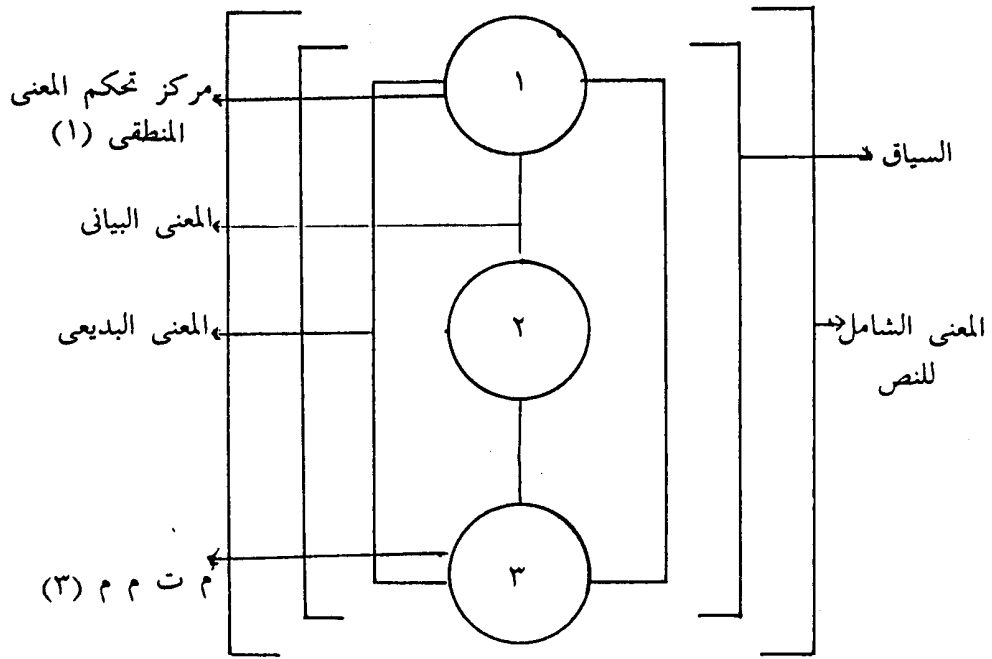
ثانياً : المعاني البيانية أو المعاني الممتدة Extended Meaning وهي التي تساعد على توضيح المعاني المنطقية وبلورتها وهي التي يشملها في البلاغة العربية « علم البيان » .

ثالثاً : المعاني البديعية أو الكمالية Accessory Meaning وهي التي يشملها في البلاغة العربية علم البديع .

ويلاحظ أن كثافة المعاني المنطقية تكون في أدنى مستوياتها في النصوص الأدبية Minimal بينما ترتفع كثافة المعاني البيانية (الممتدة) والبديعية Maximal وينعكس الوضع في النصوص غير الأدبية حيث تكون كثافة المعاني المنطقية في قممها Maximal وتتضاءل إلى جانبها المعاني البيانية والمعاني البديعية. ويختلف الوضع بالنسبة إلى النصوص المتداخلة والتي تسمى Fuzzy text أو Hybrid Texts حيث يعتمد توزيع المعاني على واقع النص

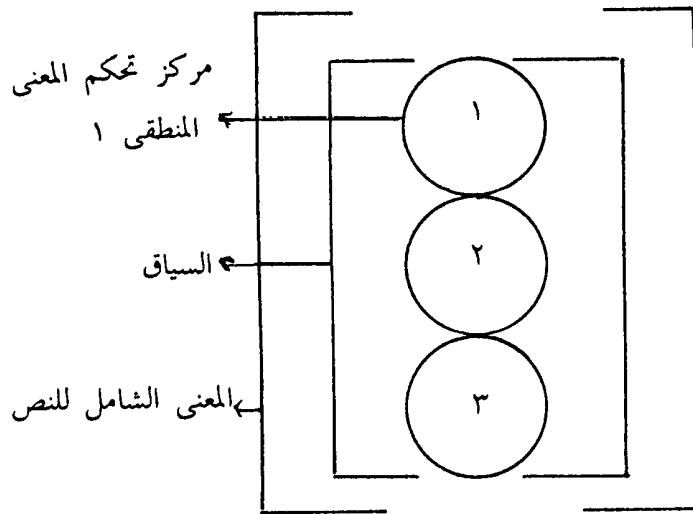
وظروفه . وتستطيع الرسوم البيانية التالية أن توضح الاختلافات الرئيسة بين النصوص الأدبية وغير الأدبية والمتداخلة .

١ - النص الأدبي :



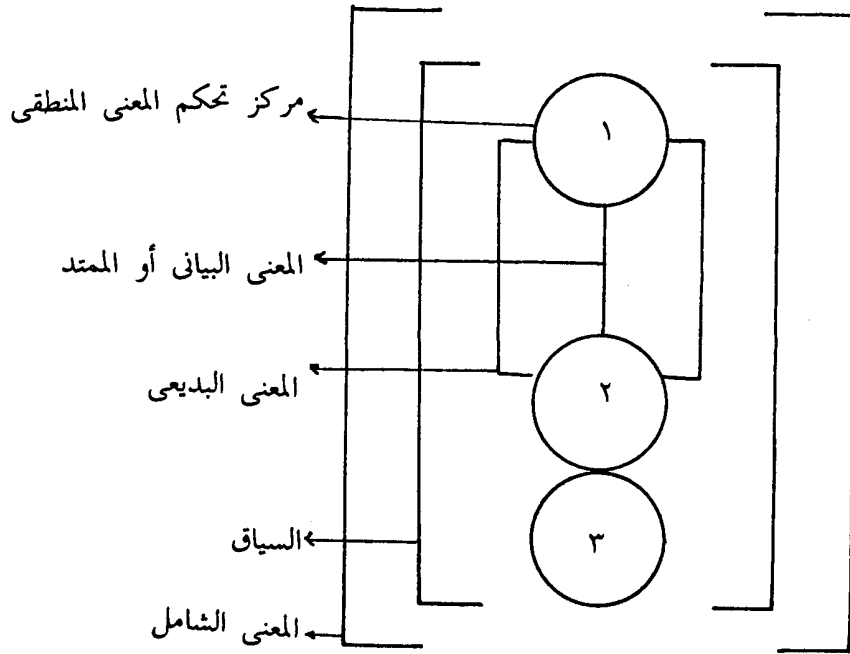
فإذا تأملنا الرسم السابق وجدنا أن هنالك مسافات تفصل بين مراكز التحكم في المعنى المنطقي . وتلك المسافات هي التي تشكل منطقة المعاني البيانية. ويغلف مراكز التحكم والمعاني البيانية المعاني البديعية التي يلفها جميعاً السياق العام الذي يفضي إلى المعنى الشامل للنص .

٢ - النص غير الأدبي :



وإذا نظرنا إلى الرسم البياني السابق وجدنا أن مراكز التحكم في المعاني المنطقية تتلاحق مع بعضها بعضاً ، ولا تفسح مجالاً للمعاني البيانية وتعيش المعاني في داخل السياق الذي يحدده نوع النص وموضوعه ويفضي ذلك إلى المعنى الشامل .

٣ - النص المتداخل :



وإذا تأملنا الرسم البياني أعلاه وجدنا أن النص المتداخل يحمّل في بعض جوانبه معاني بيانية وبديعية محدودة تفضى في سياق النص إلى المعنى الشامل .

ويتضح لنا وفق التقسيم الذى أبناه أن عملية بناء النص في إطار مفهوم النصانية الشامل هي حركة إنتقال أو انزياح مستمرة بين المعاني المنطقية والمعاني البيانية والمعاني البديعية في إطار سياق النص من أجل تحقيق المعنى الشامل .

وتشكل هذه الانزياحات الضوابط التى يعتمد عليها منتج النص أو مستقبله من أجل تحقيق المعنى الشامل . ويمكننا في ضوء هذا أن نستفيد فائدة كبرى من نظرية الانزياحات هذه في المجالات التطبيقية التى تتعلق بالنقد الأدبي أو الترجمة، لأنه بإمتلاكنا هذه الوسيلة العلمية نستطيع تحليل النصوص إلى مكوناتها الأساسية وبالتالى يمكننا أن نجري فيها ما شئنا من الدراسة ، وسوف نؤجل الحديث في أهمية هذه النظرية بالنسبة لنظرية الترجمة حتى يحين موضع ذلك في هذا البحث .

الباب الثاني

الفصل الأول

نظرية الترجمة

يتحتم علينا أن ندرك حقيقة أولى عن هذا العالم الذى نعيش فيه ، فهو عالم تسكنه شعوب وأمم متباينة فى ثقافتها ولغاتها وقدراتها الإقتصادية والإجتماعية . وعلى الرغم من وجود كثير من الأيديولوجيات المثالية التى تدعو إلى توحيد العالم فى إطار ايديولوجى متشابه ، فقد أدركت كثير من الأمم فشل هذا المنحى بسبب الاختلافات العرقية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية . وعلى الرغم من ثورة الإتصالات الحديثة فيبدو أن الأمل الوحيد المفتوح أمام العالم هو التعاون مع إحتفاظ كل ثقافة بمقوماتها الأساسية . ويعتبر مجال الترجمة واحداً من المجالات المهمة التى يمكن أن يتحقق من خلالها مثل هذا التعاون . وذلك ما جعل كثيراً من الجامعات والمعاهد الفنية تهتم بموضوع الترجمة وتؤسس البرامج الخاصة التى تقوم بدراستها . وعلى الرغم من أن الترجمة هى من أقدم النشاطات الإنسانية ، فقد إتضح أن ما أسهم به الفكر الإنسانى فى المجال النظرى لفلسفتها ضئيل جداً ولا يمكن أن يشكل أساساً متكاملأ يعتمد عليه الدارسون كما هو الشأن مع سائر العلوم

الأخرى ، وذلك ما جعل الجامعات الحديثة لا تهتم بتدريس الترجمة فحسب ، وإنما تحاول في ذات الوقت تأسيس نظرية تصلح أساساً يعتمد عليه في تدريس أصولها .

لقد طرأت منذ البداية مشكلة أساسية في تدريس برامج الترجمة في الجامعات الغربية : وتدور هذه المشكلة حول سؤال أساسي هو :

هل تشكل الجامعات المكان المناسب لتدريس برامج الترجمة ؟ وكان السؤال منطقياً لأن معظم الجامعات التقليدية تأسست على أنها مؤسسات هدفها المعرفة من حيث هي معرفة ، وليس غرضها تخرج الفنيين والمهنيين إلا في المجالات العليا التي ترتبط بتطوير المعرفة ذاتها مثل مجالات الطب والهندسة والقانون . ونظراً لأن مجال الترجمة هو في الأساس مجال تطبيقي ، فقد رأى الكثيرون تلاؤمه مع المعاهد الفنية والكليات المهنية وليس الجامعات . ولقد طرأ تطور مهم في العالم الغربي فيما يختص بهذه الدراسات وهو ظهور الجامعات التطبيقية التي تعنى بوضع الخبرات النظرية موضع التطبيق بالإضافة إلى تطوير أسسها النظرية . وهكذا وجدت دراسات الترجمة دفعة قوية من أجل إحتوائها في داخل المؤسسات الجامعية .. ويلاحظ أن دراسات الترجمة في هذه المرحلة لم تعد تقتصر على تدريب المترجمين فقط بل تجاوزت ذلك إلى كثير من المسائل النظرية التي تتعلق بترجمة النصوص وإعادة برمجتها وكيفية إيجاد المعادل الموضوعي Equivalence في اللغات الأخرى. وقد ساعد العمل في هذا المجال على تطوير كثير من النظريات المتعلقة بعلم الحاسوب والذكاء الاصطناعي .

ويبدو جلياً أن التطور الحديث في دراسات الترجمة قد تأثر إلى حد كبير بالتطور الذي لحق الدراسات الألسنية Linguistics وما وراء الألسنية

Extra - Linguistics بالإضافة إلى التطور في مجال الدراسات البراجماتية Pragmatics ودراسات الذكاء الاصطناعي . وقد أثر التطور في هذه المجالات في تكوين النماذج المختلفة Models التي تقوم عليها نظرية الترجمة المعاصرة وذلك على النحو الذي سنفصله فيما بعد .

ومهما يكن من أمر ، فيلاحظ أن دراسات الترجمة تواجه في الوقت الحاضر ثلاثة تحديات أساسية .

أولاً : تحدى هوية الدراسة Challenge of Identity :

وهو التحدى الناجم من كون الدراسات التقليدية جعلت دراسات الترجمة فرعاً من الدراسات اللسانية على إعتبار أن موضوع الترجمة هو نقل مادة لغوية من لغة ما إلى لغة أخرى ، وقد زاد من تفاقم هذه المسألة تنظيم دراسات الترجمة في إطار الأقسام اللسانية التي قللت من شأن العلوم والإتجاهات الأخرى المتصلة بموضوع الترجمة . وعلى الرغم من إدراك اللسانيين لأهمية الثقافة والسايكولوجيا والبويطيقيا والإجتاع في دراسات الترجمة ، فقد قللوا من شأن هذه العلوم يجعلها فرعاً من الدراسات اللسانية ، وذلك ما حاول علم النص أن يصلحه بجعل العنصر اللسنى أحد المكونات الداخلة في عملية الإتصال ، ولا ينفرد وحده بمركز الثقل على الرغم من أهميته في منظور النظام العلامى .

ثانياً : تحدى النظرية والتطبيق Theory and practice :

لقد أشرنا إلى هذا التحدى فيما قبل ، وذكرنا أن الجامعات التطبيقية حاولت أن توجد صيغة للتوازن بين الجانب النظرى والتطبيقى في برامج الترجمة لاسيما وأن كثيراً من هذه الجامعات قد أدركت أن التطور النظرى لا

يعنى بالضرورة تطوراً في المجالات التطبيقية أو العكس ، وذلك لأهمية
العنصر « البيداجوجي » في برامج الترجمة .

ثالثاً : التحدي البيداجوجي Pedagogical Challenge :

ويتعلق هذا التحدي بالكيفية التي تدرس بها برامج الترجمة في
الجامعات ، ونستطيع أن نلاحظ هنا إختلافات كثيرة في تحقيق هذه الغاية ،
إذ بينما يعتبر «نايف خرما» أن برنامج الترجمة هو جزء من برنامج اللغة العام
فإن « جيدون توري » يعتبر تدريس الترجمة من الأمور المستحيلة بالنسبة
للأفراد الذين لا تكون اللغة الثانية هي لغة أم أو بمثابة لغة أم عندهم . ومهما
يكن من أمر فنلاحظ بصفة عامة أن الاتجاه السائد في برامج الترجمة هو
تدريس هذه البرامج من خلال نماذج واضحة المعالم ، وتعتمد النماذج في
الغالب على وجهة النظر السائدة . وسوف نعرض فيما يلي إلى مجموعة من
النماذج التي تعرض لها « سايمون تشاو » في دراسته المهمة بعنوان « كيف
نترجم هذه وردة حمراء ؟ » وذلك قبل محاولة البحث في مفهوم الترجمة
كأساس نستخدمه في توضيح موقفنا من نظريتها .

سايمون تشاو ونماذج الترجمة Simon chou

يقسم سايمون تشاو نماذج الترجمة إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية(ص)

.(١٢٤)

١ — الاتجاه النحوي Grammatical Model

٢ — الاتجاه الثقافي Cultural Model

٣ — الاتجاه الإستنتاجي Interpretive Model

وعلى الرغم من تحديده لهذه الاتجاهات التي تقوم عليها نماذج

واضحة ، فهو يرى أن الطرق التى يمكن أن تنفذ من خلالها هذه الاتجاهات غير قابلة للحصر . ويمكننا أن نتبع فيما يلى الكيفية التى نطر من خلالها « تشاو » لهذه الاتجاهات الثلاثة فى ضوء التماذج التالية :

أولا النموذج النحوى :

يرى « تشاو » أن النموذج النحوى يعتمد على منظور ألسنى مصغر لعملية الترجمة Micro ويعنى بذلك أن المترجم حسب هذا النموذج لا ينظر إلى أى عنصر غير المكونات اللغوية الخالصة . وتبدو عملية الترجمة وفق هذا المنظور على أنها نقل للمواقع النحوية من لغة إلى أخرى. ولقد حدد « سايون تشاو » طريقتين وفق هذا النموذج ، الطريقة الأولى هى الطريقة النحوية التقليدية والطريقة الثانية هى طريقة النحو الشكلى Formal Grammar

أ — الطريقة النحوية التقليدية Traditional Grammer .

وهى طريقة معيارية يحاول من خلالها المترجم أن يوجد فى اللغة الهدف مقابلاً نحوياً ومعجمياً لما هو فى لغة المصدر ، وذلك من خلال مفهوم عام للنحو . وتهتم هذه الطريقة بالمعانى النحوية مثل الفاعلية والمفعولية والظرفية ونحو ذلك . ويرى تشاو أن هذه هى الطريقة المفضلة لدى الطلاب الذين لا يملكون قدرات كافية فى لغة الهدف إذ أنهم يعتمدون على طريقة المبادلات الرياضية .

ب — الطريقة الألسنية الشكلية Formal Linguistic Model :

يرى « تشاو » أن الفرق بين الطريقة الأولى والطريقة الثانية هو فرق بين الذاتية Subjectivity والموضوعية Objectivity ، ذلك أنه بينما تعتمد الطريقة الأولى على المعانى ، فإن الطريقة الثانية تعتمد على تحليل المستويات

الفونولوجية والمورفولوجية والتركيبية للغة ص ١٢٦ أى أن المترجم حسب الطريقة الثانية يصل إلى النتائج بنفسه ، بينما هو في الطريقة الأولى يعتمد على الوصف السابق للغة . ويعتبر تشاو الطريقتين تتسمان بالجمود . ويلاحظ تشاو أن الداعين للطريقة الألسنية يعتبرون الترجمة فرعاً من اللغويات التطبيقية والاختلافية Contrastive وغالبا ما يذكر طلاب هذه الطريقة بالفروق بين اللغة المصدر واللغة الهدف ويعتبر تشاو « كاتفورد » Catford الممثل الحقيقي لهذا الاتجاه في نظرية الترجمة .

ثانيا : النموذج الثقافي The Cultural Model:

يرى « تشاو » أنه بينما يركز النموذج النحوي على المقابلات النحوية بين اللغة المصدر واللغة الهدف ، فإن النموذج الثقافي يركز على جانب المعاني ، أى أن دور المترجم هو القيام بتوضيح نظرة أصحاب اللغة المصدر إلى أصحاب اللغة الهدف . ويميز « تشاو » في هذا النموذج طريقتين ، الطريقة الأولى هي الطريقة الإثنوغرافية المعنوية والطريقة الثانية هي طريقة المعادل الديناميكي .

أ — الطريقة الإثنوغرافية المعنوية The Ethnographic Semantic Model :

تعتبر هذه الطريقة المعنى ظاهرة ثقافية « إثنوغرافية » ويركز المدرس في هذه الطريقة على تعريف طلابه بالأسس الثقافية للغة المصدر ، وذلك حتى يمكنهم من نقل ما يقابلها إلى لغة الهدف التي هي لغتهم الأصلية (ص ١٢٨) وتركز هذه الطريقة على الفجوات الثقافية بين اللغات ، وتحاول ملء هذه الفجوات بطريقة معقولة . ويبدو واضحاً أن هذه الطريقة تضحى بالجوانب اللغوية المشار إليها في الطريقة النحوية من أجل تحقيق أغراض ثقافية خالصة .

ب — طريقة المعادل الديناميكي The Dynamic Equivalent Method :

وتختلف هذه الطريقة التي يدعو إليها «تايدا» عن الطريقة السابقة بحسب مفهوم « تشاو » في أنها تعترف بأن الأشياء التي تقال في لغة ما يمكن قولها في لغة أخرى ، إلا أن هذه الطريقة تواجه مشكلة حين يكون الشكل أساساً لا يمكن الإستغناء عنه كما هو الشأن في لغة القرآن الكريم . وكما يرى « تشاو » فإن هدف الطريقة لا يقتصر على المقارنات « الاثنوغرافية » بين لغتين ، بل تحقيق نفس الأثر في اللغة الهدف Response وقد إستخدمت هذه الطريقة في ترجمات الإنجيل التي لم تحفل بالدقة النصائية ، وإنما ركزت على أن تحدث الترجمة نفس الأثر كما هو الشأن في اللغة العبرية مع التوضيح بالجانب اللغوي الخالص (ص ١٢٨) . ويعنى ذلك أن المترجم يحتاج إلى إتباع إستراتيجيات مختلفة من أجل تحقيق المعادل الموضوعي للنص المترجم في اللغة الهدف . ويتركز التدريس بحسب هذه الطريقة على الجوانب الثقافية مع الإهتمام بكيفية تحديد الإستراتيجيات المختلفة التي يتبعها المترجم من أجل تحقيق المعادل الموضوعي .

ثالثاً : النموذج الاستنتاجي Interpretive Model :

يرى « تشاو » أنه منذ بداية السبعينات أخذت نظريات جديدة في الظهور لا تعتبر الترجمة عملاً بين لغات أو بين ثقافات وإنما تعتبرها نشاطاً نصائياً خالصاً . وقد تأثر هذا الاتجاه بالأفكار التي طورت في مجال « البويطيقيا » Poetics وعلم النص Text - linguistics وقد ميز تشاو طريقتين في داخل هذا النموذج .

أ — طريقة تحليل النصوص Text analysis Method .

وتركز هذه الطريقة على قراءة سياق العمل Context من خلال النص المصاحب Cotext على نفس الأسس التي شرحناها في الباب الأول . ويعنى ذلك أن المترجم سوف يركز على الموقف الإتصالي بأسره ، وبالتالي فسوف يركز على تحليل عناصره . وكما يقول « تشاو » يصبح تحليل النص خاضعاً لكل الإمكانيات المشروعة مثل إستخدام النحو المقارن والثقافة المقارنة وعلم الإجتماع والأسلوبية والنقد الأدبي وهلمجرا . ويبدو واضحاً أن طريقة تحليل النصوص تحاول أن توجد مصالحة أو توازناً بين سائر الاتجاهات المستخدمة في مجال الترجمة . ولكن هذه الطريقة لا تستطيع أن تحل الإشكالية التي يخلقها مبدأ الاستنتاج خاصة في ترجمة النصوص الأدبية التي قد يختلف المترجمون حول قيمتها البراجماتية إختلافاً كبيراً . ومع ذلك فيجب ألا نقلل من شأن هذه الطريقة التي حاولت بأسلوب علمي أن تنظر إلى النص على أنه أداة إتصالية وأنه مكون من طبقات عديدة يتحتم على المترجم أن يكتشفها قبل أن يياشر عملية الترجمة . وإذا كان من شيء يؤخذ على هذه الطريقة فهو إتساع المجال في داخلها حول تحليل معنى النصوص لعدم وجود الضوابط الدقيقة التي تحكم العمل . وذلك ما يجعل نظرية الانزياحات التي سأقوم بشرح أهميتها في مجال الترجمة أكثر دقة في التحكم في عمل المترجم . وينتهي « تشاو » إلى أن تدريس هذه الطريقة يعتمد على تطوير المهارات اللغوية والأسلوبية الشاملة مع معرفة أنواع النصوص المختلفة وكيفية كتابتها . وهو يرى أن عدم شيوع هذه الطريقة يرجع إلى عدم أخذها فرصة كافية .

ب - الطريقة الهيرميوناطيقية :

يذهب تشاو إلى أن هذه الطريقة لا تعتمد على أية نظرية لغوية واضحة ، وذلك لكونها تقوم على أسس فلسفية ظاهراتية . فهي تعتمد اعتماداً كلياً على شخصية المترجم ورؤيته الوجودية للنص . ويعنى ذلك أن المترجم يمتلك حرية كاملة في تعديل لغة النص . ذلك أنه لا يبحث عن معنى خبيء في داخل النص وإنما يحاول أن ينشئ علاقة حوارية بينه وبين النص تساعده على أن يكتب نصاً جديداً في اللغة الهدف مستنداً على النص الموجود في لغة المصدر. ويتنفسى في هذه الطريقة مبدأ الموضوعية لأن المترجم يتدخل بأفاهة الخاصة على النص (ص ١٣١) . ويبدو واضحاً أن تدريب المترجمين وفق هذه الطريقة يعتمد في الأساس على النقد الأدبي وكيفية كتابة النصوص . ويرى تشاو أن هذه الطريقة تفتقر إلى الأسس النظامية كما قد تكون مملة بالنسبة للطلاب ذوى الميول العملية أو الذين يفتقرون إلى الخيال والخبرات الأدبية والنقدية .

خلاصة :

ونخلص مما تقدم إلى أنه ليس في إمكاننا أن نحدد طريقة واحدة للترجمة ، وذلك بسبب إختلاف النظم اللغوية والثقافية وإختلاف الغايات التي يرمى إليها المترجمون ، ولكن ذلك لا يعنى أننا لا نستطيع أن نضع ضوابط معقولة لعملية الترجمة ، ذلك أن المترجم يعمل في ضوء حدود معينة ، فإذا تجاوز هذه الحدود خرج من مجال الترجمة الحقيقية إلى مجالات أخرى . ويتضح هذا الأمر على نحو خاص في ترجمات الكتاب المقدس التي تتجاوز أغراض الترجمة الفنية إلى الأغراض الدينية الخالصة . ويحتم ذلك أن نبدأ

في دراسة الأسس التي تقوم عليها نظرية الترجمة وذلك من أجل إكتشاف مواطن الخلل والقصور في تلك الأسس حتى يتمكن من إصلاحها ووضع الضوابط التي تجعل من الترجمة نشاطاً علمياً يخضع إلى أسس موضوعية ونظرية واضحة . وسوف نقوم بشيء من هذه الدراسة في فصلنا القادم .

الفصل الثاني

لابد لنا أن نفرق بين نوعين من أنواع الترجمة ، يختص النوع الأول بالمواد اللغوية غير النصائية وهى التى لا تخدم غرضاً إتصالياً مباشراً ، وإنما قد تستخدم فى غرض إتصالى فى المستقبل مثل ترجمة القواميس أو المواد التى لا تتخذ شكل نص ويشار إليها بمصطلح غير نص Non - Text . ويختص النوع الثانى بالترجمة النصائية وهى التى تخدم غرضاً إتصالياً مباشراً . ونظراً لأن النوع الأول يحتاج إلى طراز معين ، وخاص من المتخصصين فسوف لا نهتم به فى هذه الدراسة ، وسنوجه تركيزنا إلى الترجمة النصائية وهى التى تخدم غرضاً إتصالياً مباشراً . وستكون دراسة الجانب النظرى فى هذا النمط من خلال عدد من الاتجاهات التى سوف نبلورها من خلال ما يلي من حديث .

أولاً : سوزان ماك جوير ودراسات فى الترجمة :

تفرق « سوزان ماك جوير » بين الترجمة من حيث هى عملية Process ومن حيث هى ناتج Product ، وقد إنتهت إلى رأى هو مصدر خلاف عند منظرى الترجمة ، وهو قولها : على الرغم من أن الألسنية تأتى فى مركز نظرية الترجمة ، فيتاحم النظر إلى الترجمة على أنها مجال من مجالات الدراسة العلامية Semiotics (ص ١٤٣) لكون الهدف الذى تتمركز حوله هو نقل المعنى من نظام علامى لغوى معين إلى نظام علامى آخر وهو ما

يستدعى مراعاة أمور أخرى خارج النظام اللغوى يشار إليها في الدراسات
العلامية بمصطلح Extra Linguistics أى خارج الألسنية .

ويتفق موقف « ماكجوير » في هذا الأمر مع موقف « إدوارد ساير »
إذ هي ترى أنه لا توجد لغتان في العالم تعكسان حقيقة إجتماعية واحدة ،
وذلك بسبب إختلاف المنظومات الثقافية في العالم .

ويبدو واضحاً أن سوزان ماك جوير تنفق مع « رومان جاكبسون » في
التفريق بين ثلاثة أنواع من الترجمة وهي :

١ — الترجمة داخل اللغة Intra - Lingual Translation والتي تعتبر
نوعاً من التفسير للنص بعلامات من لغة النص الأصلية .

٢ — الترجمة من لغة إلى أخرى Inter - Lingual Translation وهي التي
تتعلق بترجمة العلامات اللغوية في لغة ما بعلامات لغوية في لغة أخرى .
ويشار إليها في العادة بالترجمة الحقيقية .

٣ — الترجمة العلامية Inter - Semiotic Translation وهي التي يتم فيها
نقل معنى النص من نظام علامى معين إلى نظام علامى آخر ومثالها تحويل
رواية أدبية إلى عمل سينمائي .

ويبدو واضحاً أن « سوزان ماك جوير » لاتؤمن بالمفهوم السائد
لنظرية التعادل Equivalence والتي تشكل أساساً مهماً في نظرية الترجمة ،
وذلك لإعتقادها بعدم امكان التماثل المطلق في مجال الترجمة . وعلى الرغم
من أنها لا تنقد مفهوم « التعادل » بصورة واضحة أو كما بينه « رومان
» جاكبسون « فهي تومىء إلى موقفها بطريقة غير مباشرة من خلال قولها
بعدم إمكان ترجمة النصوص الأدبية لعدم القدرة على تحقيق التماثل Sameness

وهو أمر تفرضه في نظرها الاختلافات الثقافية بين النظم العلامية . وتركز ماك جوير على الاختلاف بين جاكسون و « مونين » Mounin المنظر الفرنسي الذى يرى أن الترجمة هى سلسلة من العمليات تؤدى إلى ناتج ذى أهمية Signification أو إلى وظيفة ما فى إطار ثقافة من الثقافات . وليس من الضرورى أن يكون هذا الناتج متماثلاً بصورة كاملة مع مافى الثقافة الأخرى . ويبدو من ذلك أن ما قبله « سوزان ماك جوير » هو صورة معدلة لمفهوم التعادل وهى الصورة الوظيفية .

وعلى الرغم من أن « سوزان ماك جوير » لا تقف طويلاً من أجل حل هذه الإشكالية المعقدة فى مجال الترجمة ، فقد أنهت بطريقة إجمالية إلى أن الترجمة هى نشاط يستهدف حل شفرة لغوية Decoding وإستبدالها بشفرة لغوية أخرى . Coding وهى تتفق فى ذلك مع « نايدا » الذى يرى أن الترجمة هى عملية تحويل نص من لغة المصدر Source Language إلى لغة الهدف Target Language وذلك من خلال عمليات التحليل Analysis والتحويل Transfer وإعادة الصياغة Restructuring وقد بنى « نايدا » نظريته على مفهوم المعادل الديناميكى Dynamic Equivalence ، ويختلف هذا المفهوم عن مفهومى كل من « رومان جاكسون » المسمى بالإحلال اللغوى Transposition و « لوسكاواس » المسمى بالتطوير العلامى Semiotic Transformation (ص ١٩) . وتذهب « سوزان ماكجوير » إلى أنه يتحتم على المترجم أن ينتقل بين عدد من الاحتمالات قبل أن يستقر على المعنى المراد ، لا سيما حين يتناول ترجمة المجازات والنكات اللغوية مثل هذه العبارة .

The Drunken Priest has been communing too often with the holy spirit.
ذلك أن التركيز في هذا النص على كلمة خمر Spirit وليس على الروح
القدس .

وتحاول « سوزان » ماكجوير « في جانب آخر من دراستها تناول
أنواع الترجمة من منظور « بوبوفيك » Popovic وترى في هذا الجانب أنه
يمكن أن ينظر إلى موضوع التعادل Equivalence من أربع زوايا أخرى هي :
١ - الزاوية اللغوية الخالصة حيث تكون الترجمة كلمة في مقابل
أخرى .

٢ - زاوية التعادل الرأسى . Paradigmatic حيث تعطى الأولوية
للبدائل التى تملأ الخانات الرأسية فى النص .

٣ - زاوية التعادل الاسلوى حيث يكون التركيز على الصيغة
الأسلوبية والتعبيرية للنص .

٤ - زاوية التعادل النصانى حيث يكون التركيز على شكل النص أكثر
من أى عنصر آخر . وترى « ماك جوير » أن تحقيق ذلك فى مجال الترجمة
الفعلية هو أمر صعب المنال بسبب وجود العناصر غير اللغوية التى لا بد من
أخذها فى الاعتبار .

وتتناول « سوزان » ماك جوير « أيضاً التفريق الذى أقامه « البرخت
نيوبرت » Albrecht Newbert فى دراسته حول الترجمة كعملية وكناتج
(ص ٢٥) فقد ذهب « نيوبرت » إلى القول بأن عدم القدرة على تحديد
المكونات التامة للترجمة الكاملة يرجع فى أساسه إلى عدم القدرة على تحديد
العلاقة فى هذا المجال بين « المعادل الديناميكى » و « غير الديناميكى »
Static وتتفق « سوزان ماك جوير » فى ذلك مع « رايموند فون دن » Rymond

Vonden الذى يقول إن مفهوم التعادل فى الترجمة هو فى حد ذاته مشكلة كبرى وذلك بسبب إحصاءاته الرياضية . وتذكر فى هذا المجال مفهومي « نايدا » المعادل الشكلى Formal Equivalence حيث يكون التركيز على شكل الرسالة، والمعادل الديناميكي حيث يكون التركيز على أثر الرسالة عند متلقيها . وتقول فى ذلك إن مفهوم التعادل الذى إكتسب شهرة كبيرة يقودنا إلى كثير من الافتراضات كما قد يؤدي إلى كثير من الاختلافات فى وجهات النظر .

وتتنبه « سوزان ماك جوبر » إلى ذلك التفريق المهم الذى أقامه « بوبوفيك » بين العناصر الثابتة فى الترجمة Invariant والعناصر المتحولة Varient وتمثل العناصر الثابتة تلك التى لا تتأثر بكثرة الترجمات إذ تظل ثابتة رغم الاختلافات فى إتجاهات المترجمين ، وهى العناصر التى يمكن التدليل عليها من خلال « السيماتيك التجريبي » بينما تمثل العناصر غير الثابتة تلك التى تخضع للإجتهدات فى داخل النصوص المترجمة (ص ٧) . ولا شك أن هذا التقسم ذو أهمية كبيرة . وكان يجب تطويره لما يحمله من قيمة فى تطوير النواحي البيداغوجية لبرامج الترجمة .

وتلاحظ « سوزان » ماكجوير « أيضاً أن « نيوبرت » يحدد مفهوم التعادل بأنه فصيلة علامية Semiotic Category ذات ثلاثة وجوه . الوجه الأول سيماتيكى أى معنوي والوجه الثانى تركيبى Syntactical بينما الوجه الثالث براجماسى Pragmatic . وكما ذهب « بيرس » Pierce فإن الوجه السيماتيكى هو الذى يعدل الوجهين الآخرين ويكتسب بالتالى أسبقية عليهما . وتذهب « ماكجوير » إلى أن قضية التعادل فى الترجمة تتابع فى الوقت الحاضر من منظورين ، المنظور الأول يركز على النواحي المعنوية

السياقية بينما يركز المنظور الثاني على الجوانب النصائية كما هو الشأن في إتجاهات تحليل الخطاب Discourse Analysis والإتجاهات الأدبية التي أفرزتها مدرسة براغ الشكلانية . غير أنها تؤكد على أن مشكلة التعادل في الترجمة لا تقتصر على جانب التماثل الذي لا يمكن تحقيقه ، ويحتم ذلك أن ينظر إليها من تلك الزوايا العريضة التي حددها كل من « . هوبوفيك » الذي ذهب إلى أن التعادل هو نوع من الديالكتيك « بين علامة لغة المصدر وعلامة لغة الهدف .

ويفتح هذا حسب رأى « سوزان ماك جوير » المجال لبحث أمور أخرى في مجال الترجمة تتعلق بالفاقد Loss والمكتسب Gain بالإضافة إلى قضية الترجمة غير الممكنة Untranslatability وترى ماكجوير أن الألسنية ونظرية الترجمة تساعدان المترجمين على إيجاد الحلول المناسبة للقضايا التي تواجههم ولكنهما تحددان معايير صارمة Norms لحل تلك المشكلات . ويعنى ذلك من ناحية أخرى أن « سوزان ماكجوير » لا تؤمن بنظرية الترجمة كعلم مستقل وإنما تؤمن بها كمؤشرات تتهدى إلى السير في الطريق ولا تضمن تحقيق الهدف . وهى بالتالى لا تفصل بين الأسس الموضوعية التى تحقق علمية الترجمة وتلك الأسس الإبداعية التى لا بد من توافرها لكى تتم العملية بطريقة مقبولة ، ذلك أن الترجمة بحسب رأيها هى مازجة بين النظرية Theory والممارسة Practice ولا يمكن فصل العنصرين عن بعضهما بعضاً . « وترى سوزان ماكجوير » أن الحل لهذه الإشكالية يكمن في مفهوم « التناص » Inter-textuality لإعتقادها أن النص المترجم يحوى شيئاً من النص الأصلي كما يضيف إليه، وهذا ما يؤكد من وجهة نظرها أن النصوص تولد بعضها بعضاً .

ثانيا : الزمان والمكان في عملية الترجمة : مارلين قادس روز :

يبدو واضحا أن اهتمام « مارلين قادس روز » في دراستها قد تركز على الترجمة الأدبية . وذلك ما جعلها تركز على عناصر الزمان والمكان وأهميتها في عملية الترجمة . فقد ذهبت إلى أن الترجمة وخاصة الأدبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظروف الزمان والمكان .

تقول : (ص ١) :

« نعلم حق العلم أننا نترجم إستناداً إلى نص موجود أصلاً في لغة المصدر وأن ترجمتنا له من ناحية ثانية تأخذ شكلاً متدرجاً ومن ناحية ثالثة فإننا نضفي إهتماماً كبيراً على زمن النص ، ذلك أن زمن النص في لغة المصدر وزمن الترجمة يشكلان الأساس المهم الذى يعتمد عليه المترجم والذى يجب أن يأخذه النقد بعين الإعتبار » .

وترى « مارلين روز » أنه بصرف النظر عن أية علاقة بين النص في لغة المصدر والنص في لغة الهدف ، فيجب ألا نهمل العلاقات الزمانية والمكانية التى تجعل النص مقبولاً في لغة الهدف . وترى كذلك أن الترجمة السيئة هى تلك التى تعتمد على ترجمة الكلمات دون إدراك للمعنى الكلى للنص .

وتذهب « مارلين روز » إلى أنه على الرغم من أن المترجم يعمل عادة في ضوء ما يترأى له صحيحاً فإن هنالك مجموعة من الضوابط لا بد أن يتبعها المترجم من أجل نجاح ترجمته وهى :

أولاً : التحليل الأولى للنص موضوع الترجمة .

ثانياً : التحليل الشامل للموضوع والأسلوب .

ثالثاً : أقلمة النص الملاءمة لغة الهدف

رابعاً : إعادة إستراتيجية صياغة النص

خامساً : تنفيذ الترجمة .

سادساً : مراجعة تحليل الترجمة التى أنجزت .

وعلى الرغم من فائدة هذه الخطوات فى النواحي العملية والبيداجوجية للترجمة ، فليس فى وسعنا أن نستجلى بصورة دقيقة نوع العلاقة التى ترمى إليها مارلين بين النص فى لغة المصدر والنص فى لغة الهدف ، إلا أنه من الممكن أن نستجلى أنها تنجس إلى الجانب الوظيفى فى الترجمة دون إهتمام بدقتها من ناحية اللغة وغيرها من العناصر التى تخضع للتعبير بسبب ظروف الزمان والمكان .

ثالثاً : كاتفورد ومفهوم الترجمة Catford

يذهب كاتفورد إلى أن نظرية الترجمة هى فرع من الألسنية المقارنة Comparative Linguistics (ص ٢٠) . ويعرف كاتفورد الترجمة على النحو التالى :

« الترجمة هى إبدال مادة نصانية فى لغة ما بمادة نصانية فى لغة أخرى » .

ويتضمن مفهوم التعادل Equivalence فى نظر كاتفورد ثلاثة مصطلحات فرعية ، هى المدى Extent ويحدد ما إذا كان المطلوب هو تحقيق الترجمة بصورة كاملة أم جزئية ، والمستوى Level — والرتبة Rank .

وبصرف النظر عما يعنيه « كاتفورد » بتلك المستويات الثلاثة فمن الواضح أن إتجاهه لغوى خالص . أى هو يعتبر الترجمة عملية نقل مستويات نحوية أو خطية من لغة إلى أخرى . ولذلك فهو يضحى

بجانب المعاني التي تشكل أساساً مهماً في النظريات الثقافية للترجمة . وعلى الرغم من أنه يتعرض لكثير من المصطلحات المهمة في نظرية الترجمة ، فيلاحظ أن إحصاره في النموذج اللغوي يفسد كثيراً من المصطلحات التي يستخدمها مثل مصطلح الترجمة الحرة Free Translation ، الذي يعنى عنده عدم التقيد الحرفي ، ومصطلح «كلمة في مقابل كلمة Word For Word الذي يعنى عنده ترجمة الريب ، ومصطلح الترجمة الحرفية Literal Translation الذي يقع في منزلة بين المنزلتين .

ويلاحظ أن « كاتفورد » تعرض إلى مفهوم الانزياحات Shifts ولكن نظراً لأنه كان محصوراً في نموذج اللغوي الخالص والذي يهمل الجوانب المعنوية « السيماتيكية » والجوانب البراجماتية فهو لم يستطيع أن يستفيد من هذا المفهوم فائدة قصوى .

رابعا : نيومارك ومفهوم الترجمة الاتصالية والمعنوية Newmark

يقول « نيومارك » لقد ظلت الترجمة قبل ظهور الألسنية الحديثة وعلى وجه التحديد في الفترة التي إمتدت من « سيسرو » Cicero إلى « فرديناند دي سوسير » في العصر الحديث تتراوح بين مفهومين ، الأول هو مفهوم الحرية Free Translation والثاني هو مفهوم الإلتزام الحرفي بالنص المترجم Literal translation . وقد ينظر إليها أيضاً في إطار مفهوم الجمال والإخلاص Faithfulness إلا أن الإتجاه الحديث قد بدأ يركز على أمرين مهمين ، وهما الإنجياز إلى المؤلف Author والانجياز إلى القارئ Reader . أى الإنجياز إلى لغة المصدر والإنجياز إلى لغة الهدف .

ويذهب « نيومارك » إلى أن الجهود قد تركزت على محاربة الترجمة الحرفية التي أثقلت كاهل النصوص الأدبية باتجاهاتها الأكاديمية والفيلولوجية . وقد ظهر إتجاه علمى خلال القرن التاسع عشر يدعو إلى إخضاع بعض النصوص إلى الترجمة الدقيقة مع الترخص في بعض النصوص الأخرى . وقد حدث التحول الشامل من وجهة نظره بظهور الألسنية الحديثة .

يقول نيومارك : (ص ٣٨) .

« منذ ظهور الألسنية الحديثة فقد تحول التركيز الذى دعمه منظرو الإتصال والمترجمون غير الأدبيين إلى القارىء، وذلك هو الإتجاه الذى سار عليه « نايدا » و « فيرث » ومدرسة « لايزينج » .

وقد ذهب « نيومارك » إلى أن الأفكار التى نادى بها فاليرى و « نابكوف » فيما يختص بالترجمة يمكن أن تنطبق فقط على الأعمال التى تقوم على ثقافة أدبية عالية . ويؤكد ذلك تغليب نظريات التعادل على النظريات القديمة التى تركز على العناصر الشكلية فى الأعمال الأدبية . ويرى « نيومارك » مع ذلك أن الإنتصار الوقتى لنظريات « التعادل » سيظل واهياً لكون الخلاف بين الإنحياز إلى لغة المصدر ولغة الهدف سيطنغى على سائر القضايا فى نظرية الترجمة . ويرى « نيومارك » فى ضوء ذلك أن حل هذه المشكلة يكمن فى إستبدال الإنحياز إلى الترجمة الحرفية وما يتطلبه من إخلاص إلى لغة المصدر ، بالإنحياز إلى الترجمة الاتصالية التى تميل بحرية إلى النظام اللغوى فى لغة الهدف وذلك من أجل تحقيق أغراض الإتصال :



ويذهب «نيومارك» إلى أن الترجمة الإتصالية تحدث في قرائها أثراً يعادل ذلك الأثر الذي يحدثه النص الأصلي في لغة المصدر، ذلك أنها تحاول من خلال ملاحظة السياق الذي يدور عليه المعنى الأصلي أن توجد نصاً مقارباً من الناحية المعنوية والتركيبية في لغة الهدف .

ويرى « نيومارك » (ص ٤٠) أن التطابق بين القيمة الإتصالية والمعنوية في لغتي المصدر والهدف يكون كبيراً حين يكون النص عاماً ولا يرتبط بقيم زمانية أو ثقافية محددة مثل النصوص التي تتعلق بالديانات الكبرى

والفلسفة والفن والعلوم والتي يفترض أن يكون جمهور المصدر والهدف متساويين في الاهتمام بها .

ويبدو خلافاً لـ « بيرس » Pierce « و موريس » Morris الذين عرفا البراجماتية على أنها ذلك الفرع من المعرفة الذى يتعلق بدراسة العلامة Sign ومستخدميها أى المرسل والمستقبل ، فإن « نيومارك » يتجه نحو إعتبار الترجمة الاتصالية Communicative Translation تختص بالمستقبل وحده Recceptor ويشكل ذلك خطأ أساسياً لأن الترجمة الصحيحة هى التى تقيم علاقة متوازنة بين المرسل والمستقبل . ويخطئ « نيومارك » حين يظن أن مفهوم « البراجماتية » يفتقر إلى الدعائم التقنية والعملية فى الترجمة الأدبية ، ذلك أن الترجمة الأدبية تتعامل مع اللغة كنظام ثانوى للنموذج Secondary Modelling System . حيث تكون هنالك مجالات واسعة لتفسير النص وإعطائه المعانى التى تخدم الأغراض النفعية للمترجم مع مراعاة الضوابط والأصول التى سوف نركز عليها فيما بعد . وعلى الرغم من أن العنصر البراجماتى هو العنصر الأساسى الذى لا يمكن تأخيرها من ناحية شكلية فهو دون شك يؤثر تأثيراً كبيراً على إستراتيجية الترجمة والنظرية التى تحكمها .

وعلى الرغم من عدم دقة المصطلحات التى يستخدمها « نيومارك » خاصة حين يحاول التفريق بصورة دقيقة بين الترجمة المعنوية التى تخلص للنص الأصيل والترجمة الإتصالية التى تحدث أثراً مماثلاً لما أحدثه النص الأصيل فى لغة الهدف ، فهو يرى كلا المفهومين يخضعان لظروف الزمان والمكان . ذلك أن الزمان والمكان يشكلان شرطين أساسيين لكل ترجمة إتصالية أو معنوية من وجهة نظره .

ويبدو من وجهة نظرنا أن المشكلة الأساسية عند « نيومارك » هى

عدم وضوح ودقة المصطلحات التي يستخدمها ، وذلك ما يخلق كثيراً من الحيرة عنده إذ نجد الإنسان صعوبة في بعض الأحيان في إدراك ما يعنيه بالترجمة المعنوية والترجمة الإتصالية على نحو دقيق .

خامساً : نايدا ونظرية الترجمة :

يعتبر « نايدا » الذي اكتسب خبرته في مجال ترجمة الكتاب المقدس من الشخصيات المهمة في تطوير نظرية المعادل الديناميكي في الترجمة Dynamic Equivalence فهو يقول في بداية فصله بعنوان نحو مفهوم جديد للترجمة (ص ١) .

« لم يحدث في التاريخ من قبل أن انشغل عدد من المترجمين بالترجمة الدينية والعلمانية كما هو الشأن الآن ، ذلك أن أكثر من مئة ألف شخص يمارسون هذا النشاط ، ومن بين هؤلاء فإن حوالي ثلاثة آلاف يمارسون ترجمة الكتاب المقدس إلى ثمان مئة لغة من لغات العالم تمثل ثمانين في المئة من سكان العالم .»

وعلى الرغم من ذلك فهو يرى أن الفكر النظري في مجال الترجمة ما يزال متخلفاً عن المهارات الفعلية في هذا المجال . ويرى أن الترجمة الدينية هي أيضاً متخلفة عن الترجمة العلمانية واستشهد في ذلك بقول أحد المختصين في صناعة الطيران الذي قال بأنهم لا يعتمدون على المبادئ المستخدمة في مجال ترجمة الكتاب المقدس ، ذلك أن الترجمة في مجال صناعة الطيران هي مسألة حياة أو موت (ص ١) وتتطلب درجة عالية من الذكاء والدقة الفعلية .

ويوضح « نايدا » أن الإتجاه القديم في الترجمة قد ظل يركز على شكل الرسالة أكثر من مضمونها ، ولذلك فقد أهتم المترجمون بالنواحي

الأسلوبية التي تختص بالأوزان ، والمساواة ، والتركيبات النحوية غير المألوفة ونحو ذلك ، ولكن الاهتمام في الوقت الحاضر من وجهة نظره انتقل من الشكل إلى أثر الرسالة في لغة الإستقبال أو الهدف . ويرى « نايدا » أن كفاءة الترجمة في هذا المجال تقاس بمقارنة أثرها في لغة الهدف بأثرها في لغة المصدر . ويعنى ذلك أنه بدلاً من أن نجيب على السؤال التقليدي هل هذه ترجمة صحيحة ؟ يجب أن نجيب على سؤال آخر وهو لمن توجه هذه الترجمة ؟ ويرى « نايدا » أن جوهر الاجابة على هذا السؤال ليس هو فقط أن تتأكد من أن الإنسان العادى سوف يفهم الترجمة موضوع السؤال بل أن تتأكد من أنه لن يسئ فهم تلك الترجمة . ويشير ذلك إلى أنه ليست هنالك ترجمة واحدة صحيحة ، وإنما هنالك مجموعة من الخيارات في الترجمة يمكن أن تكون كلها صحيحة . ويعتمد ذلك على المستوى الثقافي والإجتماعي لمستخدمى الترجمة .

ويذهب « نايدا » إلى أن فهم الترجمة يتطلب اكتشاف وإبعاد نوعين من التعبيرات من الترجمة (ص ٢) .

أولاً : تلك التعبيرات التي لا يمكن فهمها .

ثانياً : تلك التعبيرات الثقيلة من النواحي النحوية والمعجمية التي تثبط عزم القارىء من محاولة فهم الترجمة ، وينتهى « نايدا » إلى قانون عام يحكم الترجمة المقبولة ، وهو ألا تكون هذه الترجمة صعبة الفهم على الغالبية العظمى من الجمهور أو أن تكون مضللة وملاى بالحيل الأسلوبية التي لا يستسيغها الجمهور .

ويذهب « نايدا » إلى أن معظم الصعوبات في ترجمات الكتاب

المقدس تنشأ في الأساس من المفهوم الخاطيء للغتى المصدر والهدف، ويتطلب ذلك أن يغير المترجمون مواقفهم من اللغتين المذكورتين فلا يخضعون الخضوع التام لواحدة منهما دون الأخرى . ويرى « نايدا » أن تحقيق هذا الهدف يتطلب عدة أمور : (ص ٣) .

أولاً : الإعراف بأن كل لغة من اللغات لها عبقريتها الخاصة، وذلك فيما يختص بطرق ترتيب الكلمات وربط الجمل واستخدام ألوان معينة من الحسنيات والمعجم الذى يتناسب مع أفهام المتحدثين بتلك اللغة . ويتطلب ذلك إحترام لغة الهدف وما فيها من غنى لغوى ، وذلك هدف يتجاهله كثير من المترجمين الذين يضعون في بعض الأحيان لغة لا تتناسب مع لغة الهدف وتعوق عملية التوصيل . وقد ساق « نايدا » لذلك مثال بعض الإرسالين محاولة إدخال المبنى للمجهول في بعض لغات أمريكا اللاتينية التى لا تستخدم هذا الأسلوب .

ثانياً : الإعراف بأن ما يمكن أن يقال في لغة ما يمكن أن يقال في لغة أخرى ، إلا إذا كان الشكل غاية في حد ذاته كما هو الشأن مع القرآن الكريم الذى يمكن ترجمة معانيه فحسب . ويرى « نايدا » أن مفهوم المعادل الممكن أو الفعلى هو أكثر المفهومات التى يدور حولها النقاش في مجال الترجمة : ويسرق لذلك فقرة وردت في الكتاب المقدس فيها عبارة « أبيض كالثلج » فقد ذهب « نايدا » إلى أن مثل هذه العبارة تثير إشكالات بالنسبة للثقافات التى لا توجد فيها كلمة ثلج . ويرى « نايدا » أنه لحل مثل هذه الاشكالية يجب البحث أولاً فيما إذا كان الناس قد سمعوا بكلمة ثلج أم لا . وثانياً أن كانوا يستخدمون كلمة في مقابلها ، وثالثاً إن كان هنالك ما يوازيها في لغة الهدف ويؤدى المعنى المطلوب . ويرى « نايدا » أنه طالما

أن إيجاد ما يوازي مثل هذه الكلمة لا يؤثر في حرف الرسالة عن مجراها الطبيعي فلا غضاضة من استعماله .

ويرد « نايدا » على الذين يتقيدون بحرفية الترجمة في مثل هذه الحالة بأن اللغات تختلف في وسائل تعبيرها ، ولا يمكن أن تتطابق مطابقة كاملة ، وحتى في داخل اللغة ذاتها يمكن إستخدام مفردات وتعبيرات متباينة للتعبير عن نفس الغرض . ولكن إذا كانت الكلمة التي لا تجد لها مقابلاً في اللغة الأخرى ذات قيمة أسلوبية لا يمكن التضحية بها ، فإن على المترجم أن يشير في هامش الترجمة إلى الإشكالية التي تثيرها تلك الكلمة أو التعبير (ص ٥) .

ثالثاً : الإعتراف بأن المحافظة على مضمون الرسالة يستوجب تغيير الشكل ويعتمد تغيير الشكل بحسب منظور « نايدا » على البعدين اللغوي والثقافي بين لغتي المصدر والهدف . ويلاحظ دائماً أن تغيير الشكل يكون في حده الأدنى حين تكون اللغتان متقاربتين مثل الإنجليزية والألمانية .

ويرى « نايدا » أنه لكي تتحقق الأهداف السابقة فلا بد أن تكون هنالك نقلة نوعية إلى لغة المصدر خاصة حين تكون لغة المصدر هي اللغة العبرية أو الأغريقية التي يحمل عنها الناس مفهومات عالية ، والمهم في نظره أن يتمكن المترجم من إعادة إنتاج النص على النحو الذي يفهم به النص في لغة المصدر . وإذا كان هدف المترجم ألا يكون دائماً خلف الكاتب في لغة المصدر فيجب أيضاً ألا يكون أمامه في لغة الهدف (ص ٨) .

طبيعة الترجمة :

لقد أوضح « نايدا » من قبل أن طبيعة الترجمة تتركز حول إعادة إنتاج Reproduction الرسالة بأقرب ما يعادلها من الناحية الطبيعية في لغة الهدف .

وذلك فيما يختص بالمعنى وما يختص بالأسلوب . ويتطلب ذلك من وجهة نظر « نايدا » تقويم عدد من العناصر بصورة دقيقة على النحو التالي (ص ١٢) .

أولاً : يجب أن تتجه الترجمة أساساً نحو إعادة إنتاج الرسالة في لغة الهدف (ص ١٢) ذلك أن الاتجاه نحو أى هدف آخر لا يؤدي إلى النتيجة المطلوبة . ويتطلب الإتجاه نحو الهدف إحكام النظر في كثير من الأمور التركيبية والمعجمية .

ثانياً : يحاول المترجم إيجاد معادل للنص المترجم لا أن يتعب خاطره في إيجاد نص مطابق للنص الأصلي .

ثالثاً : يرى « نايدا » أن الترجمة الجيدة لا تبدو كأنها ترجمة وإنما يجب أن يبدو النص في لغة الهدف معادلاً طبيعياً Natural Equivalence ولا يعنى ذلك بالطبع أن يذهب الإنسان إلى أن يحول ترجمة الكتاب المقدس إلى شئ غريب عن طبيعة الكتاب المقدس .

رابعاً : يجب أن يراعى المترجم أن تكون ترجمته هي أقرب أنواع

التعادل مع النص الأصلي Closest Equivalence

خامساً : يجب أن يعطى المعنى الأسبقية على سائر العناصر الأخرى في النص . ويرى « نايدا » أن محتوى الكتاب المقدس هو أهم شئ تدور عليه ترجمة الكتاب المقدس . ويعنى ذلك أن بعض الانزياح عن الشكل لا يعتبر مجرد إتجاه « راديكالى » وإنما هو أمر ضرورى .

سادساً : على الرغم من أن الأسلوب يأخذ دوراً ثانوياً بالنسبة للمحتوى في نظر « نايدا » فهو يرى عدم التقليل من أهمية عناصر الأسلوب ، ذلك أنه لا

يجوز أن يترجم الشعر كما يترجم النثر . ومهما يكن من أمر فيجب أن يكون الأسلوب معادلاً من الناحية الوظيفية لأسلوب النص في لغة المصدر . وينتهي « نايدا » إلى أنه خلال عملية الترجمة يجد المترجم نفسه مضطراً إلى الانحياز إلى المحتوى في مقابل الشكل والمعنى والأسلوب وشخصية النص والمعادل القريب في مقابل أى معادل آخر والطبيعية في مقابل التغيير الشكلى . وذلك ما يتطلب من المترجم بحسب مفهوم « نايدا » أن يضع جدولاً للأسبقيات لا سيما من منظور الشكل من جهة ، وفهم النص من جهة أخرى .

كاثرين ج ل بارنويل Katharine Barnwell .

تبدأ « كاثرين بارنويل » كتابها « مقدمة للسيمانتيك والترجمة » بقولها إن الترجمة تدور حول نقل رسالة من لغة المصدر إلى لغة الهدف .

تقول « كاثرين بارنويل » (ص ١٣) .

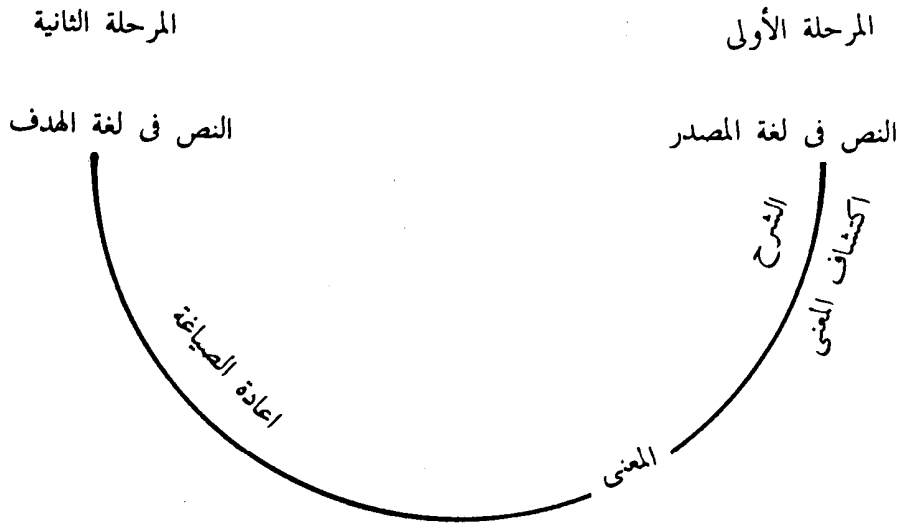
لقد عرفنا فيما قبل أن كل لغة من اللغات تتميز بنظامها الخاص ، ويحتم ذلك أن يحدث بعض التغيير في عملية الترجمة . وليس ذلك مهماً طالما كان في الإمكان الاحتفاظ بالمعنى الأصيل للرسالة .

ويبدو هذا الموقف متعارضاً مع موقف « نيومارك » بتركيزه على لغة المصدر أكثر من لغة الهدف .

وتذهب « كاثرين بارنويل » إلى أن عملية الترجمة تستدعى مرحلتين واضحتين ، المرحلة الأولى يقوم فيها المترجم بتحليل النص في لغة المصدر لمعرفة حدود المعنى. ويلاحظ أن كاثرين بارنويل تخلط بين مفهوم التحليل ومفهوم الشرح في هذه المرحلة Exegesis . وأما المرحلة الثانية فهي التسي

يُحاول فيها المترجم إعادة صياغة المعنى بصورة مطابقة « على قدر الإمكان » في لغة الهدف . وهي مرحلة لا يمكن أن يتحقق هدف نقل المعنى فيها إذا لجأ المترجم إلى تفسير مشابه لما يحدث في ترجمات الكتاب المقدس كما تريد كاترين بارنويل .

ومهما يكن من أمر فهي تتخذ هذا النموذج لتوضيح عملية الترجمة .



ويبدو من غير الواضح في نموذجها تحديد الكيفية التي يكتشف بها المعنى ، ألا أنه من الواضح أنها تميل إلى تحقيق المعنى في الترجمة أكثر من اهتمامها بالمحافظة على الشكل .
تقول : (ص ١٤) .

« يحاول المترجمون في بعض الأحيان نقل الرسالة دون تفسير في شكلها ، وتكون النتيجة إما ترجمة مستعجلة واما صعبة الفهم أو غير صائبة المعنى » .

ولا يعنى ما ذهبنا إليه أن كاترين بارنويل « تهمل شأن الشكل ، ذلك أنها تهتم بالشكل من حيث هو وعاء المعنى . وترى أن المحافظة عليه هي بقدر ما يحقق ذلك المعنى ويصيبه بطريقة دقيقة » .

لقد ركزت « كاترين بارنويل » على مبدأ التفسير Exegesis كخطوة أساسية في عملية الترجمة . ولكن إذا كان التفسير مهما بالنسبة لترجمات الكتاب المقدس فإلى أى مدى يكون التفسير مهماً في الترجمات العادية ؟ لا يبدو هذا الأمر واضحاً بالنسبة إليها على الرغم من احساسنا أنها تميل إلى الطريقة التي ترجم بها الكتاب المقدس مما يناقض إتجاهها الداعى إلى المحافظة على المعنى ، ويجعلها تقترب من « نايدا » ومهما يكن من أمر فقد حددت « كاترين بارنويل » ثلاثة أسس للترجمة الناجحة وهى في نظرها :

أولاً : دقة الترجمة وصحتها Accuracy

ثانياً : وضوح الترجمة Clarity .

ثالثاً : طبيعة الترجمة Naturalness .

ويبدو واضحاً أن كثيراً من المشكلات التي تثار في نظرية الترجمة

نشأت في الأساس من عدم وضوح المصطلحات المستخدمة . وعلى الرغم من أن « كاترين بارنويل » لم تتحدث عن القيمة الاتصالية أو البراجماتية للترجمة ، فقد كان واضحاً أنها في حقيقة الأمر تركز على هذه الأمور بصورة غير مباشرة في معيارها الذي وضعت له الدقة الترجمة وصحتها . ويتضح ذلك في مثل قولها (ص ١٥) .

« هنالك عدة طرق للتعبير عن الفكرة ، لإختار الطريقة التي توصلها بطريقة واضحة وهي الطريقة التي يفهمها الناس العاديون » ويوحى هذا النص بأنها تميل إلى النموذج الإتصال في الترجمة ، ولكن ذلك لا يحقق فكرتها الأساسية في الإخلاص للمعنى لأن الانحياز للقيم الاتصالية قد يتعارض في كثير من الأحيان مع مفهوم الدقة المعنوية . وتوضح « كاترين بارنويل » ما تعنيه بطبيعية المعنى على النحو التالي :

« يبدو من المهم أن يستخدم المترجم الصيغة الطبيعية في لغة الهدف وذلك من أجل أن تصبح الترجمة مؤثرة ومقبولة، ذلك أنه من الضروري ألا تكون الترجمة غريبة على ما تعودده جمهور الهدف في لغته » .

ويظهر النص السابق إتجاهها « براجماتياً » عند « كاترين بارنويل » قد يتعارض مع مفهوم الدقة والوضوح اللذين أشارت إليهما فيما قبل . وعلى الرغم من وجود كثير من التعارض في مقولاتها ، فيبدو من الواضح أن هدفها النهائي هو أن يحاول المترجم إيجاد نوع من التوازن بين العناصر التي جعلتها مقياساً للترجمة الصحيحة وهي عناصر الدقة والوضوح والطبيعة .

تقول « كاترين بارنويل » (ص ١٥) .

« على الرغم من أن المترجم يحاول بقدر الإمكان أن يوصل معنى

الرسالة في لغة المصدر بصورة فعالة ، فيبدو أنه لا مفر من أن يؤثر شكل الرسالة الأصلية على ترجمته . وتقتصر لأجل التغلب على هذه المشكلة أن يكون التعبير في لغة الهدف بواسطة شخص تكون لغة الهدف هي لغته الأصلية . ونظراً لأن الترجمة لا تقتصر على التعبير في لغة الهدف فقط ، وإنما تحتاج إلى تفكيك الرسالة الأصلية ، فنجد « كاترين بارنويل » تؤمن بما يسمى بالترجمة الجماعية Teamtranslation حين لا تكون لغة الأم هي لغة المترجم إذ يسهم المشاركون في تفكيك الرسالة الأصلية التي ينقلها الآخر إلى لغة الهدف . وعلى الرغم من صعوبة هذا المشروع في النواحي العملية ، فلا شك أنه حقق في بعض الحالات نجاحاً كما هو الحال في ترجمات المنفلوطي من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية .

وترى كاترين بارنويل « أن مشروعها لن يعصم المترجم من التأثير باللغات الأجنبية إذا كان يتقن إحداها . ويبدو واضحاً أن الاحتراز السابق لا أهمية له حين يتعامل المترجم مع لغتين تنتميان إلى عائلتين منفصلتين مثل اللغة الانجليزية واللغة العربية . وتعالج كاترين بارنويل « هذه المسألة بطريقة أخرى حيث تقول : (ص ١٦) .

« يجب دائماً عرض مسودة الترجمة على متحدث بلغة الهدف لا يكون قد تأثر بلغة المصدر ، وذلك من أجل تقديم الاقتراحات التي تؤدي إلى التحسين ، ولا شك أن مرحلة الترجمة وتدقيقها هي من الأمور المهمة لمعرفة ما إذا كان المعنى الذي تنقله الترجمة هو معنى رسالة المصدر الأصلية أم لا ، وما إذا كان النص المترجم صحيحاً وطبيعياً أم لا .

ولا شك أن النص السابق يحمل إشكاليات كثيرة أولاها أنه إذا كانت الترجمات الأدبية تحتاج إلى مثل هذا التدقيق فإن الترجمات العادية لا تحتاجه ، كما أنه ليست هنالك وسيلة يمكن أن نؤكد بها على أن فهم المتحدث الأصيل للغة الهدف هو الفهم الصحيح للرسالة في لغة المصدر ، ومعنى ذلك أننا سنظل في دوامه من التحققات . ومع ذلك فلا ننكر أن كثيراً من آراء «كاترين بارنويل» ذات أهمية خاصة بالنسبة للترجمة ، ولكن الآراء التي يمكن أن تدخل في مجال نظرية الترجمة هي تلك التي تتجاوز الجوانب الخاصة إلى الجوانب العامة للترجمة .

« جوليان هاوس » ومفهوم الترجمة Julian House

تتجه « جوليان هاوس » في دراستها نحو إيجاد معيار « نموذج » تقرر به المستوى النوعي للترجمة . وتبدو منذ البداية وهي تسير على الطريق الصحيح .

تقول « جوليان هاوس » (ص ٢٥)

« يرتكز جوهر الترجمة على ضرورة المحافظة على علاقة المعنى بين لغتين مختلفتين حيث توجد ثلاث طبقات لهذا المعنى ، الطبقة الأولى هي الطبقة السيمانتية ، والطبقة الثانية هي الطبقة « البراجماتية » والطبقة الثالثة هي « الطبقة النصانية » .

وترى أن الطبقة السيمانتية تحدد علاقة الوحدة اللغوية مع إطارها المرجعي في عالم ممكن ، وهو أى شيء يمكن أن ينشئه العقل الإنساني سواء كان ذلك الشيء مادياً أم فكرياً أم مجرداً . ولا ترى « جوليان » صعوبة في ترجمة هذا الجانب لسهولة التحقق من وجوده وعدمه .

تقول « جوليان هاوس » (ص ٢٦) .

« يبدو واضحاً أن سهولة اكتشاف المعاني السيماتيكية هو أحد الأسباب التي سادت إلى الاهتمام بها في الدراسات الأولى في نظرية الترجمة . وترى « جوليان هاوس » أنه لإزالة الغموض القائم بين المعنى السيماتيكى والمعنى البراجماسي فإنه يجب المقارنة بين هذين النوعين . ويقودها ذلك إلى الأخذ بمقارنة « ستالنكر » التي تقول ما يلي : (ص ٢٦) .

« يتجه السيماتيك إلى دراسة العلاقة بين العلامة ومدلولها حيث تفسر عناصر الجمل على أنها أطروحات معنوية ، بينما تركز الدراسات البراجماسية على الأغراض التي من أجلها تستخدم الجمل » .

ويتضح وفق هذا المنظور أن المعنى « السيماتيكى » هو جزء مكن للمعنى البراجماسي ، ولا يكون العكس صحيحاً بأى حال من الأحوال من الناحية النظرية . وذلك لأن المعنى البراجماسي هو المعنى الإبلاغي الفعال وليس مجرد فرض لغوى .

وتذهب « جوليان هاوس » إلى أنه على الرغم من أن الوجهة الإبلاغية تستنتج من الظواهر النحوية مثل ترتيب الكلمات ونوع الأفعال والنبر ، فمما لاشك فيه أن السياق هو العنصر الفعال في تحديد فعالية الخطاب . وذلك ما يحتم من وجهة نظرها أن تتجه أنظارتنا في الترجمة إلى الخطاب بأسره ، وليس إلى الجمل المكونة له بكونها وحدات منعزلة .

تقول « جوليان هاوس » (ص ٢٨) .

« يتركز هدف الترجمة على تحقيق التعادل البراجماسي حتى لو كان

ذلك على حساب المعنى السيمانتىكى . ويقودنا ذلك إلى القول بأن الترجمة هي إعادة صياغة براجماتية لنص المصدر في لغة الهدف .

ويقودها ذلك إلى القول بأن الترجمة في مجملها هي عملية نصانية ، ولكن ما النص في وجهة نظرها ؟ .

« هو الإمتداد اللغوى الذى تترابط في داخله العناصر المفردة لتكوين كل شامل » (ص ٢٩) .

وترى « جوليان هاوس » أن النصانية تتحقق من خلال مجموعة من العناصر هي التى أشار إليها « هاليدى » و « دوبراند » فيما قبل مثل الحذف والإبدال وتقدير الضمائر ونحو ذلك . وتؤكد « جوليان هاوس » على أن العناصر النصانية قد أهملت في نظريات الترجمة السابقة وأن لها أن تأخذ مكاناً مركزياً في نظرية الترجمة الحديثة . وهكذا يأتي تعريفها للترجمة على النحو التالي (ص ٣٠) .

« الترجمة هي إبدال نص في لغة المصدر بنص معادل من النواحي السيمانتىكية والبراجماتية في لغة الهدف ، وتفرق « جوليان » بين ترجمة النص المكتوب وتسميتها Translation والنص المنطوق وتسميتها Interpretation . وعلى الرغم من أن مفهوم التعادل يأخذ منحى وظيفياً فهى ترى أنه يثير كثيراً من الإشكالات أهمها أغراض المؤلف ونيته الأصلية من النص ، ولكنها تأخذ بالمنحى الوظيفى لصعوبة حل إشكالية نية المؤلف من وجهة نظرها . وعلى الرغم من أنها تتوسع في موضوع وظائف اللغة من أجل إقامة معيارها الذى تحدد به فعالية الترجمة ، فنكتفى بهذا التصور الشامل لرؤيتها لأنه هو الجانب الذى يدخل بصورة مباشرة في موضوعنا .

باسل حاتم ونظرية أنواع النصوص :

يلاحظ أنه بينما كان الانحياز واضحاً في معظم الاتجاهات النظرية السابقة إلى الترجمة من حيث هي ناتج Product فإن إهتمام الدكتور حاتم يتركز على الترجمة من حيث هي عملية Process ويرجع ذلك في الأساس إلى كون الدكتور حاتم يشرف على برامج الترجمة ويدرسها في جامعة هاريوت وات البريطانية . وعلى الرغم من أن اتجاهات الدكتور حاتم المعتمدة على نظرية أنواع النصوص وعلم النص بصورة عامة تحل كثيراً من الإشكالات الجزئية في عملية الترجمة ، فإنها تترك كثيراً من القضايا الأساسية في هذا المجال بغير جواب . وذلك لكون الدكتور حاتم يركز بشكل أساسي على النص في لغة المصدر دون أن يحدد الكيفية التي يمكن أن يتجاوز بها المترجم المشكلات التي تؤدي إلى التعادل بين النص المترجم في لغة الهدف والنص الأصلي في لغة المصدر . ومع ذلك فإن القيمة الأساسية لإتجاه الدكتور حاتم تكمن في أنه يريد من المترجم أن ينظر إلى النص من حيث هو بنية متكاملة Structure تترابط بواسطة النظم Texture وهذا هدف أساسي في عملية الترجمة ، ويعتبر خطوة أولى وأساسية قبل أن يحدد المترجم الكيفية التي يحقق بها الأغراض المعنوية والأسلوبية في لغة الهدف . لكن هذا الهدف وحده لا يحل المشكلات المتعلقة بالمعاني التي يحملها النص والخصائص الأسلوبية في داخله وكيفية التصرف فيها وذلك ما يجعل نظرية أنواع النصوص وحدها غير قادرة على حل هذه المشكلات وتحتاج إلى ما يكملها ، وهذا هو الهدف الذي تسعى إليه نظرية الانزياحات التي سأشرحها في مرحلة لاحقة . ومهما يكن من أمر فينبغي عند هذه المرحلة أن ننظر إلى المنطلقات التي تشكل الأساس في الإتجاه « البيداجوجي » عند الدكتور حاتم .

يرى الدكتور حاتم أن الهدف الأساسي من دراسته هو إكتشاف إمكانية استخدام علم النص في مجال تعليم الترجمة. وعلم النص عنده هو الذى يجمل دراسة النص في داخل سياقه العام والعلوم المتصلة به مثل البلاغة والأسلوبية ونحوها (ص ٦) . ويحدد الدكتور حاتم مجاله في هذا الاتجاه وهو تدريب طلاب الترجمة في مرحلة الدراسات العليا من منظور نظرية أنواع النصوص التى تقسم اللغة من وجهة نظره بحسب فعاليتها الاتصالية (ص ٦) التى تفضى إلى عدد من الأنواع الرئيسة تكمن في داخلها مجموعة من الفصائل النصية .

ويبدأ الدكتور حاتم دراسته بالقول إن هنالك كثيراً من الأخطاء في مجال الترجمة لا تنجم من عدم معرفة المعجم أو النحو ، وإنما تنجم من جانب طال إهماله في مجال تدريس اللغات والترجمة وهو الجانب الذى يتعلق بمعرفة السياق Context والبنية Structure والنظم Texture .

وعلى الرغم من أن نظرية «الريجستر» قد مارست نفوذها من وجهة نظره على مدى عقدين في مجال الألسنية الإجتماعية وهى النظرية التى تقوم على مفهومات مثل المجال Field والطريقة Mode والكيفية Tenor فإن هذه النظرية لم تستطع أن توضح مدى الأنشطة النصية Textual Activities التى تكيف عملية الاتصال ذاتها التى تؤدى إلى ظهور برينجز ، وذلك ما يجعل علم النص هو البديل الشرعى لتلك النظرية التى تتسم بكثير من أنواع القصور .

ويذهب الدكتور حاتم (ص ٧) إلى أن علم النص هو الذى يساعدنا على تحليل النصوص لمعرفة التفاوت بينها وفي داخلها . ويقوده ذلك إلى القول بأن تحديد السياق يتطلب معرفة الكيفية التى يتم بها إنتاج النص من

حيث هو علاقة تفاعلية وتعاونية في مجال الخطاب تنتج النص الذي هو التحقيق الفعلي أو الناتج لهذه العملية التفاعلية . ويرى أن النص من حيث هو عمل في الواقع يحقق الجانب الراجح في عملية الخطاب ، ومن حيث هو عمل سيميائي يحقق الجانب الإتصالي الذي يحدد بدوره المحور الذي يدور عليه نوع النص : ويذهب الدكتور حاتم إلى أن الإمكانيات المتاحة لأنواع النصوص تكمن في ثلاثة أنواع رئيسية هي :

١ - النصوص السردية Expository Texts

٢ - النصوص الجدلية Argumentative Texts

٣ - النصوص الأمرية Instructive Texts

ويذهب الدكتور حاتم في ضوء هذا الواقع إلى أن ما يحتاجه طالب الترجمة في ضوء هذا الواقع هو برنامج يشتمل على الأمور التالية :

أولاً : مقدمة في تحليل النصوص ، وقد تشتمل على نظرية الترجمة والثقافة الإجتماعية والليكسوكوغرافيا ونحوها من العلوم .

ثانياً : مقدمة في نظرية أنواع النصوص تشرح الخطوات التي أشير إليها سابقاً .

ثالثاً : دراسة أنواع النصوص من خلال نماذج يتعرف الطلاب من خلالها على المتغيرات المختلفة في داخل النصوص .

ويبدو مما سبق أن ما يتجه إليه الدكتور حاتم هو أن يمد الطلاب بمعرفة عامة للأسس أو « الميكاتزم » الذي يقوم عليه النص ، وهو يعتبر ذلك أساساً مهماً لنجاح برنامج الترجمة . وكما أسلفنا فإن هذا الإتجاه ينجح بصورة أساسية إلى النص في لغة المصدر ولا يوضح على أي أساس يمكن

للطالب أن يحقق مهارة عالية في تحويل النص من لغة المصدر إلى نص معادل في لغة الهدف أو كيف يمكن للطالب أن يتغلب على المشكلات التي تتعلق بالشكل والمعنى والأسلوب . كما لا يحدد هذا الاتجاه موقف المترجم بالنسبة للمسائل التي تتعلق بقيود الزمان والمكان . وتلك كلها أمور لا تستطيع نظرية أنواع النصوص أن تجيب عليها إجابة كاملة .

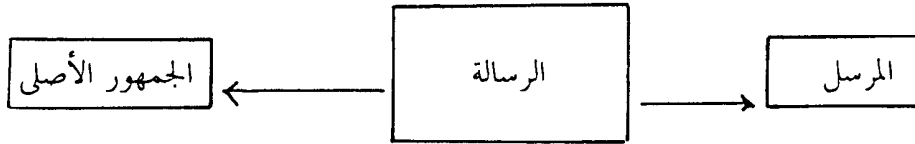
نظرية الانزياحات والترجمة : Theory of shifts :

إذا تأملنا النظريات والإتجاهات السابقة وجدنا أنها جميعاً قد أنهت إلى أن مفهوم الترجمة هو مفهوم علائقي يحدد العلاقة بين نصين أحدهما في لغة المصدر والآخر في لغة الهدف، وعلى الرغم من أن سائر النظريات قد أنهت إلى أن العلاقة بين النصين يحكمها مفهوم التعادل Equivalence فقد اختلفت الإتجاهات فيما تعنيه بمفهوم التعادل ، إذ بينما ذهب « كاتفورد » إلى أن التعادل يتركز حول إستبدال العلاقات النحوية في لغة المصدر بعلاقات نحوية في لغة الهدف ، ذهب « نيومارك » إلى أن التعادل يتحقق من خلال الترجمة الاتصالية Communicative كما ذهب « نايدا » إلى أن الترجمة هي تحقيق المعادل الموضوعي الذي يترك في لغة الهدف أثراً يشبه الأثر الذي تركه النص الأصلي في لغة المصدر . ويلاحظ هنا أن لإكاتفورد « يضحى بالمعنى في سبيل تحقيق العلاقات النحوية ، بينما يضحى كل من « نيومارك » و«نايدا» باللغة في سبيل تحقيق الغايات الاتصالية والتأثير . ولا تقدم نظرية أنواع النصوص حلاً لهذه المشكلة ، ذلك أنه بينما تركز نظرية أنواع النصوص على النص في لغة المصدر فهي لا توضح الكيفية التي يتحقق بها التعادل في لغة الهدف ، لذلك فقد كانت نظرية « الانزياحات » التي طورتها في جامعة « سالفورد » حلاً لكل المشكلات التي تعرضنا لها

سابقاً ، ذلك أن نظرية « الانزياحات » لا تعالج موضوع الترجمة من الناحية النظرية فحسب ، وإنما تحاول أن ترسم الطريق الذى يتبعه المترجم لكى يحقق الترجمة ، وذلك ما يجعلها ذات أهمية خاصة في المجالات البيداغوجية .

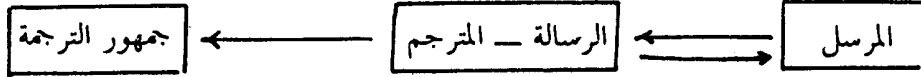
ولقد سبق أن أوضحت نظرية الانزياحات عندما تحدثت في علم النص . وسوف أحاول الآن أن أستخدم ما توصلت إليه سابقاً في تطوير نموذج هذه النظرية في مجال الترجمة .

تعتبر نظرية « الانزياحات أن الترجمة هي نقل شبكة المعاني الموجودة في نص لغة المصدر إلى نص لغة الهدف وهي الشبكة المكونة من المعاني الالزامية أو المنطقية ، والمعاني الممتدة والمعاني الجمالية والتنظيمية . ويتطلب هذا النقل فهم دور المترجم والكيفية التى يختلف بها عن المرسل الحقيقي للنص ، ويمكن أن يوضح الرسم التالى نوع العلاقة التى تقوم عادة بين مرسل النص الأصلي وجمهوره .



فإذا نظرنا إلى نظام العلاقات السابق وجدنا أن المرسل هو الذى يتحكم بصورة نهائية في إنتاج الرسالة التى يوجد لها أغراض براهمية . وهو يرسلها بصورة مباشرة إلى جمهور الهدف الأصلي . ويختلف هذا

الوضع عن وضع المترجم الذى يمكن أن نبينه على النحو التالى .



فإذا تأملنا الرسم السابق وجدنا أن المترجم يتعامل مع رسالة جاهزة ولا يحاول أن ينشئها ، كذلك فهو لا ينقل الرسالة إلى جمهورها الأصلي وإنما ينقلها إلى جمهور أو هدف جديد . وهو بالتالى يعود بالمعنى إلى المرسل الأصلي حيث تصادفه هنا سائر المشكلات الإستنتاجية والتي يمكن حلها من خلال التمرس بالنظام اللغوى ، ثم يتجه لإعادة صياغة الرسالة بحسب فهمه لها كى يرسلها إلى الجمهور الجديد ، ويبدو من ذلك أن دور المترجم هو إعادة صياغة رسالة ليس هو صاحبها وتوجيهها إلى جمهور ليس هو المقصود أصلاً فى توجيه الرسالة . ولقد لحظنا من خلال النظريات السابقة أن وجهات النظر تراوحت بين المراعاة الحرفية للنص والتصرف فيه لتحقيق الأهداف الإتصالية والتأثيرية فى لغة الهدف . وتختلف نظرية « الانزياحات » عن تلك الاتجاهات جميعها من حيث هى ترى أن العلاقة بين النص فى لغة المصدر والنص فى لغة الهدف يمكن أن تأخذ أشكالاً عدة ، منها الشرح والتفسير ، والإقتباس والإختصار والتطويل ونحو ذلك ، ولكن علاقة واحدة هى التى يحافظ فيها النص فى لغة الهدف على مقومات النص فى لغة المصدر ، ذلك أنه ليس من حق المترجم أن يغير فى نص لغة المصدر إلا لأغراض بلاغية أو عملية ، ولو شاء أن يغير كما يريد فيجب ألا يسمى ما يقوم به ترجمة بل يطلق عليه الاسم المناسب من الأنواع التى أشرنا إليها سابقاً . ويجب من

أجل تحقيق الترجمة الصحيحة أن يبدأ المترجم بتحليل نصه من أجل أن يوجد .

أولاً : المعاني المنطقية أو الالزامية .

ثانياً : المعاني الممتدة أو البيانية .

ثالثاً : المعاني الجمالية والتنظيمية .

وسوف نلاحظ أن المترجم لا يستطيع أولاً يثق له أن يتصرف في المعاني الالزامية بالحذف أو التغيير ، لأن ذلك يخرج النص عن معناه الأصلي ، ولكنه يستطيع أن يتصرف في المعاني البيانية والجمالية بما يتلاءم مع طبيعة لغة الهدف . وعلى الرغم من أن ذلك قد يحدث تغييرات طفيفة في شكل الرسالة فهو لا يؤثر على معناها المنطقي . وإذا كنا قد رخصنا للمترجم أن يتصرف في المعاني البيانية والجمالية ، فيجب أن نؤكد على أن ذلك لا يتم بغير هدف تفرضه لغة الهدف . ويتبين من ذلك أن عملية الترجمة هي عملية « انزياحات » مستمرة بين المعاني المنطقية ، والمعاني الممتدة والمعاني الجمالية يخافظ فيها المترجم بصورة مستمرة على المعاني المنطقية بينما يتصرف في غيرها . ويبدو واضحاً أن هذه النظرية تضع الأساس السليم للترجمة الصحيحة كما تشكل أساساً مهماً للتدريبات البيداغوجية ، وهي لا تفترض أن وجودها سبق على الإتجاهات السابقة وإنما تفترض أن أية علاقة بين النص في لغة المصدر والنص في لغة الهدف لا تستند إلى أسس هذه النظرية يجب أن تسمى باسمها الصحيح . وتعتبر القراءة الأولى للنص في نظرية الانزياحات هي محاولة لتخصيب النحو وحيائه من أجل اكتشاف العناصر البلاغية في تركيب النص لتحقيق الأغراض التي سبق ذكرها .

خاتمة :

لقد أشرنا في أول هذا الكتاب إلى ثلاثة أنواع من الترجمة هي :
أولا : الترجمة الليكسوكوغرافية التي تحفل بترجمة المفردات والتعبيرات
البلاغية والجمالية .

ثانيا : الترجمة الاصطلاحية .

ثالثا : الترجمة النصائية .

ونظرا لأن النوعين الأولين يتمان خارج إطار اتصالى Context وهما
يحتاجان لنوع خاص من التدريب ، فقد انصرف تركيزنا إلى الترجمة
النصائية ، وقد ساقنا ذلك إلى تخصيص القسم الأول من هذا الكتاب إلى
دراسة علم النص الذى تناولناه من المنظورات التالية .

١ - خصصنا الفصل الأول لدراسة التطورات التى أفضت إلى ظهور
علم النص الحديث من منظورات « دوجراند » و« هارتمان » و« رايزر » .
٢ - خصصنا الفصل الثانى لدراسة علم النص من منظور هاليدى
النظمى .

٣ - خصصنا الفصل الثالث لدراسة مفهوم النصائية الذى أوضحنا فيه
أن النصائية لا تستهدف إيجاد نحو عرفى للنص ، وإنما تستهدف وضع
الأصول والضوابط التى تمكن من إبداع النصوص وتحقيقها .

٤ - خصصنا الفصل الرابع لدراسة نظرية أنواع أنواع النصوص من
منظور الدكتور باسل حاتم وأوضحنا أن هذه النظرية تعلق من شأن الجوانب
الميكانيكية على حساب الجوانب الأسلوبية والإبداعية .

٥ - خصصنا الفصل الخامس لنظرية « الانزياحات » التى قدمت نموذجاً مرناً لدراسة النصوص قائماً على الأسس البلاغية التى تقوم عليها نظرية المعانى والبيان والبديع .

ولقد قسمنا القسم الثانى من الكتاب إلى فصلين ، تعرضنا فى الفصل الأول إلى مجموعة النماذج التى أشار إليها « تشاو » وهى النماذج النحوية ، والثقافية والنصائية ، وتعرضنا فى الفصل الثانى إلى مجموعة من نظريات الترجمة إنتهينا منها إلى نظرية « الانزياحات » التى عالجت كثيراً من جوانب النقص التى تبينها فى النظريات السابقة .

وعلى الرغم من إعترافي بأن هذا الكتاب لم يفرغ من كثير من الجوانب الجوهرية التى تتعلق بنظرية الترجمة ، فلا شك عندى أنه أول محاولة فى اللغة العربية تحاول أن تعالج نظرية الترجمة من منظور علمى . وأعترف مع ذلك أن اختياري للمنظرين الذين تعرضت لهم إعتمد فى الأساس على رغبتى فى عرض النظريات الأساسية التى يقوم عليها الفكر الحديث فى مجال الترجمة أكثر من محاولة إستقصاء الاسهامات فى هذا المجال من منظور تاريخى أو تسلسلى . ومهما يكن من أمر فأرجو أن يكون هذا الكتاب باكورة لأعمال كثيرة يقوم بها الباحثون فى هذا الموضوع الذى اهتمناه طويلاً فى مجال الدراسات العربية .

مانشستر ١٩٨٨/٩/٤ م

تم بحمد الله

LIST OF REFERENCES

- 1 — de Beaugrande, Robert: An Introduction to Text-Linguistics.
— Text, Discourse, and Process. 1980.
— Factors in a Theory of Poetic Translating. 1978.
- 2 — Newmark, Peter: Approaches to Translation. 1981.
- 3 — Nida, Eugene A. & Taber, Charles R.: The Theory and Practice of Translation. 1969.
- 4 — Rose, Marilyn G.: Translation Spectrum; Essays in Theory and Practice. 1981.
- 5 — Hartmann, R.R.K.: Contrastive Textology; Comprehensive Discourse Analysis in Applied Linguistics. 1980.
- 6 — Halliday, M.A.K. & Hassan, R.: Language, Context, and Text; Aspects of Language in a Social - Semiotic Perspective. 1985.
- 7 — House, Julian; A Model for Translation Quality Assessment. 1977.
- 8 — Dressler, Wolfgang U. (ed.): Current Trends in Textlinguistics. 1977.
- 9 — Browler, Reuben A. (ed.): On Translation. 1959.
- 10 — Brislen, Richard W. (ed.): Translation: Applications and Research. 1976.
- 11 — Mcguire, Susan B.: Translation Studies. 1980.
- 12 — Catford, J.C.: A Linguistic Theory of Translation. 1965

- 13 — Hatim, Basil: Discourse Texture in Translation: Towards a Text-Typological Re-Definition of Theme & Rheme.
— A Text-Linguistic Model For The Analysis Of Discourse Errors: Contributions From Arabic Linguistics.
— Discourse Analysis in Applied Linguistics: Towards a Definition of Text Variation.
— Approach To Syllabus Design in Translator Training.
— Discourse/Text Linguistics in the Teaching of Interpreters.
- 15 — Jakobson, R.: On Linguistic Aspects of Translation. 1966.
- 16 — Knox, R.A.: On English Translation. 1957.
- 17 — Lyons, J.: Semantics. 1977.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
الباب الأول	
١١	الفصل الأول - تطور علم النص
١٤	دوبوجراند وعلم النص
١٤	التطور داخل مجال الألسنية
١٨	هارتمان وعلم النص
٢٣	هانز رايزر وعلم النص
	الفصل الثاني :
٢٧	علم النص في منظور هالدي النظمي
٢٩	هالدي ومفهوما السياق والنص
٣١	النص في مفهوم هالدي
٣٤	رقية حسن ومفهوم النص
	الفصل الثالث :
٣٧	مفهوم النصانية
٣٩	القضايا الاساسية التي قام عليها علم النص من منظور دوبوجراند
٤٤	علم النص والسنية الحملة في منظور دوبوجراند
٤٨	مفهوم النصانية عند دوبوجراند
	الفصل الرابع :
٥٣	نظرية أنواع النصوص
	الفصل الخامس :
٦١	نظرية الانزياحات
الباب الثاني	
٦٩	نظرية الترجمة
	الفصل الثاني :
٧٩	سوزان ماكجوير ودراسات الترجمة
٨٦	كاتفورد ومفهوم الترجمة
٨٧	نيومارك ومفهوم الترجمة الاتصالية والمعنوية
٩١	تايدا ونظرية الترجمة
٩٦	كاترين بارتويل
١٠١	جوليان هارس ومفهوم الترجمة
١٠٤	حاتم ونظرية أنواع النصوص
١٠٧	نظرية الانزياحات والترجمة
١١١	خاتمة

تم احاطة الترفيح بواسطة

مكتبة عملك

ask2pdf.blogspot.com